ذو الحجة ١٤٤٥

صفات أولي الألباب والعقل الرباني

تقديم

أنا هيد بنت عيد السمبري

غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخو اتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

✓ الكمال لله -عزَّوجلَّ-، فما ظهرلكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفرالله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الأول يوم الخميس ١٤٤٥/١١/٢٩ هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا نحمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، ونسأله بمنه وكرمه كما جدد علينا مواسم الطاعات أن يوفقنا وينفعنا بها.

وفي هذه الأمسيات المباركات نجتمع بإذن الله راغبين في تربية أنفسنا وتوجيهها إلى ما ينجيها. نجتمع راغبين ألا نكون ممن ظلم نفسه، فضيعها وبخس حقها، ففاتت عليه الفرص وذهبت عليه المواسم وهو لم يحسن إلى نفسه، ولم ينتفع بما يسر له ربه. فاللهم إنا نعوذ بك أن نضِل أو نُضَل، او نزِل أو نُزل، أو نَظلِم، وأول الظلم ظلمنا لأنفسنا، أو نُظلَم، أو نجهل، وأعظم الجهل التعدي على هذه النفس، وعدم إعطاءها حقوقها، أو يُجهَل علينا.

في هذه الأمسيات المباركات نناقش أمور تتصل بإصلاح النفس وتربيتها، وبإظهار الحقيقة لهذه النفس وإرشادها إلى ما فيه صلاحها وفلاحها. وأول هذا الشأن أن نعرف أنه لا سبيل إلى إصلاح النفس إلا بتعليمها الحق، إلا بمعرفتها الحق. ولا سبيل إلى معرفة الحق إلا من كلام الرب، سبحانه وتعالى. وكل ما دون كلام رب العالمين، وكلام رسوله الكريم، ﷺ، كل ما دون ذلك إنما هي توابع وملاحق إن وافقت كلام رب العالمين وكلام رسوله الكريم، وإن ضادّت فهي الشر بعينه. فهذا أول

الأمر، لا سبيل للهداية ولا سبيل لإصلاح النفس إلا بمعرفة الحق، ولا سبيل إلى معرفة الحق إلا بكلام الرب، سبحانه وتعالى، وكلام الرسول الذي أرسله بهذا الحق ﷺ، وما سوى ذلك فهو إما يشرح كلام الرب، سبحانه وتعالى، وكلام رسوله ويبينه وهو يوافقه، أو خلاف ذلك، وهذا يكون من ظلم النفس. من ظلم النفس أن نمنعها الحقيقة ونجعلها تدخل درب التيه لما لا تعرف الحقيقة، لما نتركها من غير هدى، وبهذا تكون تعاسة الإنسان. تعاسة الإنسان تكون لما يُمنَع عن الحق ولا يعرف كلام الرب، سبحانه وتعالى، ألم يقل رب العالمين {إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}؟ بلى قد قال {إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}!

لذا رب العالمين قد عاب على الذين غيروا وبدلوا وتركوا الحق، وأمرهم أن يكونوا ربانيين {وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}، والربانية لا تكون إلا بالأخذ من كلام الرب، لأن الأخذ من كلام الرب، وهو الحق، هو الذي يجعل في الروح روح، فكلام رب العالمين روح الحياة وحياة الروح {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا}. وكما هو معلوم الروح التي بين جنبينا شأنها، كما قال رب العالمين، الروح التي بين جنبينا شأنها كما أخبر، عز وجل، {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} والله سمى القرآن {رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا}، فهذا شأن القرآن. شأن القرآن كشأن روح الإنسان إنما هي من أمر الله. نلاحظ {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي}، {رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا}، شأن القرآن كشأن روح الإنسان، من عند الرحمن، وهذه الروح التي بين جنبينا خلق خلقه الله لا يستطيع الإنسان إدراكه، وما نزل من

عند رب العالمين لا يستطيع الإنسان الإحاطة به علما، لكن تشترك، كما تشترك روح الإنسان مع وصف الإنسان أنه كله من أمر الله، كذلك تشترك روح الإنسان مع القرآن في أنه سبب للحياة. كل الأجساد تحيا بالأرواح التي يخلقها الله، ولما تفارقها تموت. وفي مقابل ذلك أهل الإيمان كان القرآن لهم روحا، لأنه سبب حياتهم كأفراد وسبب حياتهم كأمم، فلا يموت قلب خالطت نبضاته آيات القرآن، ولا حياة لقلب خلا من القرآن، فالقرآن من عند الرحمن، رحمة منه. ونسمع {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ} خطاب للنبي ﷺ فيه أعظم الدلالة على عظيم فضل الرحمن، سبحانه وتعالى، وأن إنزاله من آثار ربوبية الله الذي ربى العالمين برحمته.

{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الذي ربى العالمين برحمته، {الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ}، فهذه الربوبية من رب العالمين تتطلب منا أن نكون ربانيين، ومعنى هذه الآية، التي هي في آل عمران، معنى عظيم، يشمل المعلمين والمتعلمين. فالمعلمين عليهم أن يكونوا ربانيين، يربطون المتعلمين برب العالمين ولا يربطونهم بأنفسهم، وعلى المتعلمين أن يكونوا ربانيين، فيتعلمون صفات الربانيين. وهنا في أمسيتنا هذه، نسأل الله، عز وجل، أن تكون أمسية مباركة، نريد أن نعرف كيف نكون متعلمين ربانيين، شأن المعلمين الربانيين شأن، وشأن المتعلمين الربانيين شأن. ففي هذه الأمسية نريد أن نعرف المتعلمين، المستقبلين لكلام رب العالمين كيف يكونوا ربانيين، كيف يتصرفوا، كيف يتكلموا؟ كيف يفكروا، وكيف

يكون عقلهم من أجل أن يكونوا ربانيين؟ هذا موضوع عظيم، كبير، يستحق الاهتمام والجهد، نأخذ طرفا منه على ما يتيسر لنا، ونتذاكر سويا في هذه الأمسية شيء من صفاتهم علَّ الله بذلك أن يفتح لنا ابوابا لتربية أنفسنا، والوصول إلى هذه الغاية: أن نكون ربانيين بما نعلم وبما ندرس من كتابه العظيم. وهنا نقول إن الرباني لا بد أن يكون متصلا بكلام الرب من أجل أن يكون رباني، وعلى معلمه أن يربطه بكلام ربه لأجل أن يكون المعلم رباني، والمتعلم رباني. فلما نقرأ في كلام رب العالمين ونقف هنا على خواتيم سورة آل عمران، وهذه الآيات المباركات مهما وقفنا أمامها، ومهما بذلنا جهدنا لفهمها، فإننا نجد فيها من الخيرات والبركات ما هو وصف للقرآن، فنرى هؤلاء الممدوحين في آخر آل عمران، وقد ذكرهم رب العالمين ممدوحين، وأثنى عليهم بصفات. سماهم أولا بأنهم {أُولِي الْأَلْبَابِ}. وأشار، سبحانه وتعالى، إلى خلق السماوات والأرض {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ} لكن لمن؟ لهؤلاء المذكورين الذين سنرى لماذا اخترنا هذه الآية لوصفهم، سنرى كيف ظهر أنهم ربانيون.

وصفهم رب العالمين في أول الوصف أنهم {أُولِي الْأَلْبَابِ}، فرأينا أنهم ينظرون إلى الآيات نظر مختلف عن نظر غيرهم، وسيأتينا هذا أيضا، ونشير على ن هذا الموضوع يدل على أنه لهم صفة من الصفات المهمة، لكن نبدأ الآن بالدلالة على أن هذه الآية ترشدنا إلى الربانيين. يخبر، عز وجل، عن هؤلاء أنهم كما أن اسمهم أولو الألباب فإن وصفهم يدل على

ذلك، فهم {يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ}. وهنا ترى أن هناك صلة عظيمة بين السماوات والأرض وما فيهما من آيات، وبين ذكر الله، لكن لمن؟ لهؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم أولو الألباب. سنرى أنهم يتفكرون، يذكرون الله ذكرا لسانيا وذكرا قلبيا، والذكر القلبي التفكير المؤدي إلى الذكر اللساني، ثم نرى أن هذا في جميع أحوالهم، {قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ}، وهذا إشارة إلى أن هذه الحال في كل أحوالهم، ذاكرين في كل أحوالهم، وهذا يكون العقل الرباني {لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ}. هؤلاء أصحاب العقول الربانية، الذين جلوا عقولهم بالتزكية والتصفية، فأول صفاتهم أنهم لازموا الذكر دائما {يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ} لا يوجد حال من أحوالهم يخلو عن ذكر الله سواء كان هذا ابتدأ من قلوبهم إلى اسنتهم، أو أتى من ألسنتهم كي يوقظوا قلوبهم ويمنعوها من الغفلة.

{وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} هؤلاء أصحاب العقول الربانية الذين أُمرنا أن نكون مثلهم {كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}، مشغولين بما خلق الله حولهم من السماوات والأرض، خلق الله هذه الأشياء حولهم لأجل أن تكون مادة عقولهم، فيفكرون دائما كيف هذه الأجرام العظام وما فيها في عجائب المصنوعات، ما فيها من غرائب، كل هذا يدلهم على رب العالمين، كل هذا يزيدهم يقين أنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير وبكل شيء عليم، وهو الحكيم، هو المدبر. وهذا غاية في الوضوح لأن الأفعال دالة على الفاعل، الأفعال العظيمة دالة على الفاعل العظيم،

والأفعال الحكيمة دالة على الفاعل الحكيم، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد. هذا الأمر غاية في الوضوح، نلاحظ أن أصحاب العقول الربانية، كما سننص على ذلك، يقرأون كل شيء حولهم باسم ربهم، وهذا يشير إلى أول آية نزلت على النبي ﷺ {اقْرَأْ} هذا الكون كله {بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، وفيما يذكر أهل العلم أن أبو سليمان الداراني كان يقول: إِنِّي لأخرجُ مِنْ مَنْزِلِي، فَمَا يَقَعُ بَصَرِي عَلَى شَيْءٍ إِلَّا رَأَيْتُ لِلَّهِ عَلَي فِيهِ نِعْمَة، أَوْ لِي فِيهِ عِبْرَة. فتصور هذا العقل الذي يقرأ الكون، يقرأ الأحداث باسم ربه الذي خلق. ونلحظ هنا أننا أمام ربانيين سيكررون اسم الرب في دعائهم وطلبهم ورجاءهم، وهذا ناتج من أنهم بهذا التفكر وبهذا الذكر عرفوا رب العالمين، رأوا دلائل الآفاق ورأوا دلائل النفس فخرجوا بهذه النتائج.

لما نسمع كلامهم الآن سنصل إلى هذا الشأن؛ أنهم ربانيون، عقول ربانية، {يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، مباشرة ماذا يقولون؟ {رَبَّنَا}، انظر لهذا العقل الرباني الذي قرأ كل شيء باسم ربه الذي خلق، قال {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا} من المؤكد، يتفكرون وتظهر ربانيتهم في كونهم يقولون {مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا} ما خلقت هذه المخلوقات البديعة، عظيمة الشأن عبثا، شيء ما له حكمة، أبدا! من المؤكد أن هناك حكم عظيمة جليلة، ومن أعظم هذه الحكم أن أفعالك تدل عليك يا رب العالمين، تدل على كمالك وجلالك وجمالك. هكذا العقل الرباني يصل ليقول {رَبَّنَا مَا

خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا} مصالح عظيمة لهذه المخلوقات، من أهمها أنها دليل على الله، مسببه لتعظيم الله الموجب لطاعة الله، تعظيم الله الذي يرغب الإنسان في القرب من الله، تعظيم الله الذي يسبب اجتناب معصية الله. هذه المخلوقات من المؤكد أنها خلقت لتدلنا على مبدأنا ومعادنا وعلى أحوالنا. {مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا}، لا يمكن، {سُبْحَانَكَ}، انظر لهذا العقل الرباني الذي يبعد تماما هذه الفكرة، وينزه الرب عن هذه الفرية، وأن يكون هناك خلق ليس له حكمة، مستحيل، لا يمكن. نلاحظ أن هذا العقل الرباني وصل إلى هذه الحقيقة من خلال التفكر، ثم عرف النتيجة، {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}. انظر كيف قدّموا الثناء على الله، قالوا {سُبْحَانَكَ} ثم طلبوا من الله ودعوا فقالوا {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}. انظر لحال هذا العقل الرباني المستغرق في ذكر الله، قلوبهم مشغولة بالتفكر في دلائل عظمة الله، ومع هذه الحال فهم يطلبون من الله أن يقيهم عذاب النار، من المؤكد أن هذا العقل عرف هذه الصلة، أن هذه الحياة لا يمكن ان تكون عبثا، مستحيل أن تكون هذه الحياة عبث، أكيد أن هناك حكمة. تعالى الله أن تكون هذه الحياة عبث، وإنما هذا ظن الكفار والله هدد الكفار، والله هدد الكفار على الظن السيء بالويل من النار {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ}. أما أهل الإيمان فإنهم متيقنين، انظر إلى هذا العقل الرباني {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا}، هذا التفكير، الذي هو عبادة عظيمة، نتذكر ما ورد في وصف أبو الدرداء، رضي الله

عنه. قيل لأم الدرداء: ما كان شأن أبو الدرداء؟ قالت: أكثر شأنه التفكر. انظر كيف هذا العقل الرباني؛ قيل له: أترى التفكر عمل من الأعمال؟ قال: نعم، هو اليقين، هذا التفكر فيما خلق رب العالمين، المخلوقات المنتشرة أمامنا في أنفسنا وفي الكون، كلها مادة للفؤاد يشتغل بها، لأن الفؤاد فيه من القوة التي خُلِقَت تحتاج إلى مادة تستعمل فيها هذه القوة، فالسماوات والأرض وما بينهما فيهما مما يشغل الفؤاد ما فيهما.

نحن نعرف حديث ابن عباس، رضي الله عنه، في الصحيح لما قال بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فقام الرسول ﷺ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عن وجْهِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الآيَاتِ العَشْرَ الأوَاخِرَ مِن آلِ عِمْرَانَ. لاحظ كيف هذه الآيات لها مكانتها عند أهل الإيمان لوصفها هؤلاء الربانيين، الذين سيكررون اسم الرب فيما يقولون، يفكرون، يتفكرون، التفكير أوصلهم أن هذه المخلوقات لم تخلق باطلا، وخرجوا من هذا أن ينزهوا رب العالمين، وخرجوا من تنزيه رب العالمين أن يسألوه أن يقيهم عذاب النار، لأنهم رأوا في المخلوقات طائعا وعاصيا، فعلموا أن وراء هذا العالم ثوابا وعقابا، فخافوا من العقاب، استعاذوا أن يكونوا ممن وجبت عليهم كلمة العذاب، وتوسلوا إلى الله، أن يقيهم عذاب النار، وسنرى كيف هذا العقل الرباني جعلهم يسألون الله بذكر بذلهم أنهم بذلوا غاية ما يستطيعون في طلب النجاة، فإنهم استجابوا لمنادي الإيمان، وهو الرسول ﷺ، وسألوه غفران الذنوب وتكفير السيئات، وسألوا أن

يموتوا على ما يرضي رب العالمين، فقالوا {مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا}، هذا يقين عندهم، {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} رتبوا هذا على هذا. لا يمكن أن يستوي عندك يا رب العالمين الصالح والطالح، ولا يمكن أن يستوي المطيع والعاصي، أكيد أنه لما تنتهي هذه الحياة سيكون لكل مستقرا مناسبا، فسأل هؤلاء الربانيون الله أن يكونوا من الناجين من النار.

واسمع منهم مرة أخرى {رَبَّنَا} نلاحظ كيف انهم ربانيون {رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ} كأن هذا تعليل منهم لسؤالهم الوقاية من النار، يعلمون أن هذا من أعظم الخزي، فيها عذاب أليم، فيها إهانة لهذا المعَذَّب، وهذا أمر معلوم، لذلك إبراهيم، عليه السلام، إمام الحنفاء، وسيد الربانيين قال {وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ}. الأمر واضح، {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} لأن من أدخلته النار فقد اخزيته والخزي أمر لا تطيقه الأنفس، شيء لا يقدر عليه الإنسان، الخزي أمر يكرهه الإنسان، بل يحب الإنسان أن يفوز، ولذلك في أول هذا السياق الذي في آل عمران أخبر، عز وجل، عن الفوز {فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}. هؤلاء الذين لا زالوا ينادون {رَبَّنَا}، قبل ان يقولوا {رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي}، سنسمع منهم أولا أنهم قالوا {وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ}، فهموا أن هذه النار خزي وأن أهل النار، والعياذ بالله، لا أنصار لهم يدفعون عنهم النار، يدفعون عنهم هذا الخزي، لا يوجد أنصار ولا أحلاف ولا أي شيء من هذا، فهذا تأكيد منهم على الاستعاذة من عذاب النار.

سمعنا أولا {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}، ثم سمعنا منهم مرة أخرى {رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ} والآن نسمع منهم مرة ثالثة {رَبَّنَا}، نسمع منهم هذه التي فيها إشارة أنهم ما تركوا عقولهم فارغة، بل كانت عقولهم ربانية، {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا}، ولما سمعوا استجابوا. سمعوا ماذا؟ {مُنَادِيًا} المنادي هو الذي يرفع صوته بالكلام، والنداء هو رفع الصوت بالكلام من أجل أن يسمع الناس، فهذا صوت لا يمكن تجاهله، فهم سمعوا من ينادي، وهنا ذكر أهل العلم أن المنادي هو النبي ﷺ، وذكر أهل العلم أن المنادي هو القرآن، وعلى كل الأحوال النبي ﷺ نادى الخلق بالقرآن ومات النبي ﷺ وبقي القرآن. فهم إن كانوا في زمن النبي ﷺ فقد سمعوا النبي يدعو الناس، وإن كان بعد وفاته ﷺ فلا زال القرآن ينادي الناس. يناديهم فإذا سمعوه وأعملوا عقولهم فيما يسمعون تجدهم يبادرون ويسبقون للإيمان. ولذلك لما تقرأ هذه الآية لاحظ أنهم لما سمعوا المنادي ينادي للإيمان، وكان المنادي يقول {أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ} تجد مباشرة فاء الدالة على سرعة الاستجابة {فَآمَنَّا}، مما يدل على أنهم استجابوا لهذا النداء، فسمعوا ووصل هذا النداء إلى فطرهم، وكانوا سالمين من المكابرة، عقولهم ربانية، اعتنوا بأن يطلبوا الحق، فكانت هذه النتيجة {فَآمَنَّا}. تفهم من الفاء مع آمنا أننا بادرنا، سارعنا، هذا ما كان إلا بفضلك. الآن يقولون {رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا}، نحن فعلنا هذا الفعل وبادرنا وهذا بمنتك، فانفعنا بما فعلنا. لا زالوا يتضرعون ويبتهلون، وينادون

باسم الرب، سبحانه وتعالى، {رَبَّنَا}، وهذا تكرير للتضرع وإظهار كمال خضوعهم له، سبحانه وتعالى، وهنا يظهر العقل الرباني الذي ما عنده إلا ربنا، ينادي الله، يسأل الله، يطلب من الله، فهو يجد أن الله هو ملجأه ومعاذه وملاذه. فينادي رب العالمين ربنا، {فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا} ولا زال الخوف من الفضيحة، والخوف من الخزي، والخوف من أن يسير الإنسان في حياته سيرا يلام عليه.

{وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ}، نحب أن نكون في درجات عالية، ننافس فيما عندك وليس فيما عند الخلق. نلاحظ هذا الأمر المهم، عقل هؤلاء الربانيون ما يحتمل منافسة الناس على الدنيا. نلاحظ {فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا} هذا شأن شاغلهم، ثم يطلبون {وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ}، هؤلاء الأبرار قد أتى ذكرهم في سورة الإنسان، وهي من السور العجيبة التي سنصل في أمسياتنا للكلام عن مطلعها، إن شاء الله. لكن هنا نتأمل لماذا سألوا الوفاة مع الأبرار، وهذا معناه أنهم **يلازمون البر إلى الممات**، وعقلهم يقول لهم أن الناس يمكن أن يسيروا سيرا جيدا ثم يردوا، نعوذ بالله أن نرد على أدبارنا أو نفتن. هم يريدون أن يموتوا كموتة الأبرار، مع الأبرار، موتة تشبه موتة الأبرار. هؤلاء الأبرار معهم بر، هم يرجون من الله ربهم أن يديم البر في حياتهم، يريدون من ربهم أن يعينهم على البر، ومن أعظم ما يعينهم على البر هو أنهم لا يريدون إلا وجه الله. وفي سورة الإنسان نجد هذا الأمر واضح، لأن هؤلاء الأبرار يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا، لماذا تطعمون الطعام

على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا؟ وموسم الحج هذا من أعظم المواسم للإطعام، أخبروا عما في فؤادهم {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا} فسؤالهم أن يكونوا مع الأبرار سؤال يعيدنا لعقلهم، نحن لا نريد المنافسة هنا نريد أن نكون مع الأبرار. ونسمع منهم مرة أخرى قولهم {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ} لا زالوا يقولون ربنا، انظر لهذا العقل الرباني، لما سألوا رب العالمين هذه الأسئلة؛ اغفر لنا ذنوبنا، وتوفنا مع الأبرار، ترقوا في السؤال، طلبوا أن يحقق الله لهم هذه المثوبة، مؤمنين أن الرسل وعدتهم.

ونلاحظ كيف الرسل في حياة هؤلاء الربانيين، الرسل في حياتهم لهم شأنهم، الربانيين مركزين على أن مع الرسول رسالة وأن هذه الرسالة آتية من عند المرسل، سبحانه وتعالى، نلاحظ هذا التفكير؛ لا يقولون محمد رسول الله ويسمعون هذه الكلمة ولا يفقهونها، عقل الربانيون المميز يقول هذه رسالة وهذا رسول {وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ}، أنت يا ربنا أرسلت رسول، ما دمت أرسلت رسول من المؤكد أن مع هذا الرسول رسالة، لأن الرسول أُرسل من مرسل، ونحنا المرسل إلينا، الله أرسل محمد، ﷺ، ونحن المرسل إلينا، لكن ما مضمون الرسالة؟ هنا نجد أن هؤلاء الربانيون ما عندهم إهمال للرسالة، كل من ﷺ وسلم على رسول الله، ونحن في ليلة الجمعة التي يحب فيها كثرة الصلاة على رسول الله، كل من ﷺ وسلم على رسول الله، لا بد أن يفكر في الرسالة التي أتى بها

الرسول ﷺ، الرسالة التي حملها إلينا النبي ﷺ، إنما هي في القرآن، الرسالة التي حملها لنا النبي ﷺ إنما في إرشاداته، ﷺ، وبيانه. والرسالة لها خلاصة، ما هي هذه الخلاصة؟ هي الإسلام، خلاصة الرسالة التي أتت من عند رب العالمين هي طلب الهداية إلى الصراط المستقيم. كيف أستقيم لأصل إلى ما وعدني رب العالمين؟ لما نشعر بهذا الشعور تجاه القرآن، أن هذه هي الرسالة، الرسالة أتت من عند رب العالمين، هذه الرسالة تخرج الناس من الظلمات إلى النور، لماذا؟ لأن الإنسان ليس له صلة بعالم الغيب أبدا إلا عن طريق هذه الرسالة، الإنسان قد أحيط به، الغيب محيط بالإنسان إحاطة تامة، الغيب من كل جهة، وعالم الشهادة الذي يشهده بحواسه ضيق جدا، فإذا بقي في قوقعة الشهادة التي هي على قدر بصره وعلى قدر سمعه، أنت في حيز من المكان وحيز من الزمان ضيق لو بقيت فيه ستكون في أضيق ما يكون الإنسان، لكن جاء القرآن، ومعه الرسالة أخرجتك من هذا الضيق وأخبرتك عن عالم الغيب.

لما نخرج من بطون أمهاتنا ونأتي إلى الدنيا نجد أن حجب الحياة تحيط بنا، وتضيق علينا الأمور وتضيق الشهادة، تضيق الأمور التي نلمسها ونشعر بها ونراها، لكن أتت الرسالة من عند عالم الغيب والشهادة، سبحانه وتعالى، من أجل أن تربط هذا الإنسان بأصله، من أجل أن يشعر الإنسان بسعة الكون، من أجل أن يشعر الإنسان بربوبية الخالق، عز وجل، بأنه على كل شيء قدير وأنه بكل شيء عليم،

جاءت هذه الأخبار من أجل أن تعلم الإنسان قصته الكاملة من النشأة حتى المصير، تعلمه ما له وما عليه. لذلك تسمع هؤلاء أصحاب العقول الربانية، هؤلاء ربانيين، قالوا {وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ}، نحن آمنا بالغيب، عرفنا من أين أتينا، إلى أين المصير، ماذا يجب علينا أن نفعل، عرفنا وعود الرب، سبحانه وتعالى، لو استقمنا. فنحن آمنا، وصدقنا، وامتلأت قلوبنا بهذا الغيب، فنحن طامعين فيما وعدتنا، يا رب العالمين، متيقنين أنك {لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ}. يمكن أن يقال هم قالوا {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ} وسيأتينا {وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ}، ثم قالوا {إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ}، ما داموا يعرفون ان الله لا يخلف الميعاد ما بهم سألوا {آتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ}؟ هذا السؤال من العقل الرباني إنما يأتي من باب إظهار ما في العقيدة، إظهار ما في النفس، يقولون نحن مؤمنين، متيقنين بما وعدتنا، فآتنا ما وعدتنا، ونسمع منهم أمرا عظيما، مرة أخرى نلاحظه، قالوا {وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ}، فهؤلاء مؤمنين، مصدقين، يعرفون أن ربهم كرمهم، ويريدون أن يحافظوا على كرامتهم، {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} كل بني آدم مكرمين بما خلقوا عليه من فطرة سوية، ومن أدوات نافعة لهم، لكن هناك من رد نفسه أسفل سافلين، وهناك من حافظ على نفسه. لكن كل بني آدم يحبون الكرامة ويكرهون الخزي. لذلك سمعنا هؤلاء {رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ}، ثم يقولون {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ}. الخزي

ضد الكرامة فيكرهون ما يكون سببا لخزيهم وضعفهم وإهانتهم يوم يلقون ربهم.

انظر لهذا العقل الرباني الذي قالوا فيه وكرروا {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا}، {رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ}، {رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا}، {رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا}، {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا}، بعد هذا قال رب العالمين {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ}، نعم! هؤلاء وعدوا بالاستجابة، أخبر، عز وجل، أنهم، وهو الرب العظيم، لن يضيع هؤلاء، لن يضيع عمل عامل منكم، فنلحظ أن هؤلاء أصحاب العقول الربانية غاية في الأدب مع الله، نلحظ أنهم نادوه وهم يعلمون أنه ربهم المتفضل عليهم بالإيجاد والإعداد والإمداد، ولا بد أن يكون هو المتفضل عليهم بالهداية، والهداية إنما هي لمن طلب الهداية.

اللهم إنا نسألك الهداية، نسألك الصراط المستقيم، نسألك عقول الربانيين أولي الألباب، ونعوذ بك من حال السفهاء. ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ربنا وأرشدنا إلى مراضيك، وانفعنا بهذه الأيام والليالي المباركة واجعلنا من الذاكرين {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ}، اللهم آمين، موعدنا غدا في إكمال هذا الموضوع المهم، موضوع العقل الرباني نسأل الله أن يجعلنا من أصحاب العقول الربانية، اللهم آمين.

اللقاء الثاني يوم الجمعة ١/ ١٢

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا نحمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

نلتقي في هذه الأمسية المباركة مجددين العهد في هذا الموضوع المهم، وهو الكلام عن أولي الألباب، عن أصحاب العقول الربانية الذين وصفهم رب العالمين في كتابه العظيم. هؤلاء؛ أصحاب العقول الربانية عرفنا في امسيتنا أمس من صفاتهم صفات عظيمة، عرفنا مدى تعلقهم بربهم، فإن هؤلاء، الذين مدحهم الله بأنهم أولي اللباب، أخبر أنهم {يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ}، هذه الأيام المباركات التي نحن فيها، الغنيمة العظيمة لأهل الإيمان، أعظم أيام الدنيا، أهم صفات الذين ينتفعون بها هي أنهم {يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ}، هذه الأيام فرصتنا لتحقيق هذه الصفة: أن نكون ممن يذكر الله {قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ}، وأن نجمع لهذه الصفة بقية صفاتهم التي من أهمها أنهم {يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، فهذا هو العقل الرباني.

سمعنا أمس أنهم يتفكرون فيخرج من تفكيرهم هذا النداء المتكرر لربهم {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا}، اسمع هذا العقل الرباني لما يصل إلى

الحقائق، {سُبْحَانَكَ} خرجت من أفئدتهم، ثم مباشرة لما رأوا هذا الكون المنتظم وكل شيء في مكانه، علموا أنه لا بد أن يكون الإنسان في مكانه، لا بد أنه سيأتي يوم من الأيام ويكون كل إنسان في مكانه، الصالح في جنات النعيم والفاجر الفاسق الكافر في الجحيم، نعوذ بالله. فلذلك قالوا {سُبْحَانَكَ}، لا يمكن أن يكون هذا الكون المحكم خلق عبثا. {سُبْحَانَكَ}، من المؤكد أن وراء وجود هذا الكون حكمة وهذا كله انطوى في كلمة واحدة؛ في قولهم{سُبْحَانَكَ} وخرجت النتيجة من هذا العقل الرباني أنه وصل إلى نتيجة أنه أهم شيء بعد ما عرفنا هذه الحقيقة واستقرت في نفوسنا أن نكون خائفين من عذاب النار، من أن نرى كل هذا الذي حولنا الشاهد على أن الدنيا لم تخلق عبثا، وانه لا يمكن أن يستوي الصالح بالفاسد ولا يمكن أن يستوي المؤمن بالكافر، لا يمكن! إذن سيوضع أهل الإيمان في مكانهم، وأهل الكفر في مكانهم، لذا قالوا {قِنَا عَذَابَ النَّارِ}، نلاحظ {رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ}، {رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا}، {رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا}، {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا} ثم سمعنا {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ}، نعم، استجاب لهم ربهم الذي نادوه، وهذه عقول أولي الألباب، هذه هي العقول الربانية التي كان أصحابها على معرفة بالله، فجعلوا هذا الكون وسيلتهم للوصول إلى كمال عقولهم.

ومن هنا نفهم ما معنى أن نكون ربانيين كمتلقين للوحي العظيم. نكون ربانيين لما تكون عقولنا مرتبطة بربنا، وأعظم نموذج لأصحاب

العقول الربانية هم صحابة النبي ﷺ، ذلك الجيل الفريد الذي صُنِع من رب العالمين واصطُفي منه سبحانه وتعالى، لما ننظر لذلك الجيل، ونقف عند موقف واحد فقط من مواقفهم، ونرى شيء من أحوالهم، نعرف بذلك كيف هذا العقل الرباني، كيف يتعامل مع الأمور، كيف ينظر لها. ونفرق بين العقل الرباني والعقل الدنيوي الإنساني، ونعرف الفرق العظيم بين من امتلأ قلبه إيمان ويقين، وبين من ادعى الإيمان. لذا لو نظرنا في أحد المواقف المشهود بها لذلك الجيل ونتأملها في سورة الحشر، الآية التاسعة ومن ثم سنناقش الآية العاشرة. {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} أولا انظر لأصحاب هذه العقول، انظر لهم وقد طهروا قلوبهم، ماذا سماهم رب العالمين؟ سماهم اسم عظيم، أتى الاسم الموصول يدل على أن هذه الصفة لازمة لهم، فقال، عز وجل: {وَالَّذِينَ} ماذا فعلوا؟ {تَبَوَّءُوا الدَّارَ} يعني البلاد، تبوأوا بمعنى أنهم اتخذوا هذه البقعة مسكنا، هذه البقعة يبوؤون إليها، بمعنى أنه، مثلا، يخرج يعمل ثم لما ينتهي من عمله يرجع إليها، هذا واضح {تَبَوَّءُوا الدَّارَ} {وَالْإِيمَانَ}؟ كيف {تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ}؟ بمعنى أن العقل الآن سيتصور أن هؤلاء تمكنوا من الإيمان تمكنا، وأخلصوا إخلاصا جعلهم

كأنهم هم أنفسهم أهل الإيمان، الذين يعود إليهم الإيمان، هم كنماذج أصبحوا كأنهم مرجع الإيمان. تبوأوا دار الهجرة وكانوا نموذجا للإيمان حتى صارت دار الهجرة، مدينة النبي ﷺ، صارت موئلا ومرجعا يرجع إليه المؤمنون، ويلجأ إليه المهاجرون، ويسكن بحماه المسلمون. تصور هذا المعنى، تصور حال الأنصار كيف أن كل أنصار الدين يعودون إليهم، فهم مرجع ومكان يجتمع فيه أهل الإيمان، حتى انتشر الإسلام وقوي وزاد شيئا فشيئا، وازداد قليلا، قليلا حتى أن هؤلاء الذين كأنهم ملكوا مفاتيح الإيمان فتحوا القلوب بالعلم والإيمان والقرآن، وفتحوا البلدان بالسيف والسنان، انظر لأصحاب هذه العقول كيف أنهم طهروا قلوبهم.

نحن نبحث عن العقل الرباني كيف يعامل الأشياء، انظر كيف أنهم أول الأمر، لما وصفهم الله بهذه الاوصاف الجميلة، عرفنا أن صفتهم التي اشتهروا بها، ما قال عنهم الأوس ولا قال عنهم الخزرج ولا قال عنهم الأنصار هنا، وإنما وصفهم بهذا الوصف العجيب، انهم قوم قد وصلوا في قوة إيمانهم أنهم أصبحوا وطنا للإيمان، وما أعجب هذا الوصف. هم تبوأوا الدار مع الإيمان، ونتذكر أن الإيمان ليس مكان لكي يتبوأ فيه الإنسان، لكن هذا من الكلام الجميل الذي فيه مدح لهم، نتصور أن الله يمدحهم بأن الإيمان تمكن من قلوبهم حتى أصبحوا كأنهم متبوئين الإيمان، كأن الإيمان مكان لهم. لننظر إلى هذه العقول الربانية كيف اهتدت في التصرف، كيف اختارت هذا الاختيار، ماذا كان في عقولهم؟

نسمع أن الله، عز وجل، أثنى عليهم بأنهم {يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ} وهذا ثناء عظيم، رب العالمين يثني على الأنصار أنهم يحبون المهاجرين، رضي الله عنهم جميعا، وحبهم للمهاجرين إنما هو من حب الدين، لأن هؤلاء يحبون أصحاب النبي ﷺ، الأناس الذين سبقوا إلى الإيمان، فرأوا في المهاجرين نموذجا لمن ضحّى، وصدق في إيمانه. فهنا عقولهم قالت هؤلاء هم من اشتركوا معنا في حب الله، ما تجمعهم جنسية، لكن جمعهم الصفاء والموافقة في الدين والإخاء، ننظر كيف مدحهم رب العالمين، أولا {يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ}، وزاد المدح {وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً} الحاجة هنا مقصود بها في هذا الموطن الحسد، وتعم كل الأشياء التي حصلت بعد ذلك وتقدم فيها المهاجرين على الأنصار. النبي ﷺ يمكن أن يكون أعطى في أموال بني النضير وبعض القرى، مثلا، أعطى المهاجرين، فهم لا يجدون في أنفسهم حاجة، فهم يحبون المهاجرين، رضي الله عنهم جميعا، وأيضا تراهم {يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ}، لا يجدون حسد حال تقديم المهاجرين عليهم، وتراهم أيضا {يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ}، وهنا يمدحون بهذا المدح العظيم، أنهم {يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}.

انظر إلى هذه الحال؛ الإيثار على النفس أكرم خُلُق، وهو يدل على أن أصحاب العقل الرباني لما ينظرون إلى الأمور ويقلبونها تجدهم متصفين بصفات لا يشاركهم فيها أحد، صفات تجعل نظرهم للأمور وقراراتهم غاية في الصواب، يمدحهم على هذه القرارات رب الأرض والسماء،

تصور {وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}، يعني فاقة وحاجة، وهذه الكلمة عجيبة لأنها مأخوذة من خصائص البيت، وهو ما يبقى بين عيدانه من الفتحات، لما يبنون ويكون فيه مثل التشققات، خصائص البيت ما يبقى بين عيدانه من الفرج والفتحات، وهذا لا يكون إلا في بيت الفقراء، لما يبنون يكون في بيوتهم شيء من الشقوق، كأن بينهم فيه خصاصة، يعني فيه فتحات وهذا يدل على النقص والاحتياج. العقل الدنيوي يقول لأطعم نفسي، آكل أنا وأسعى لعيالي، لكن العقل الرباني يقول: هؤلاء أهل الإيمان {الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}، هؤلاء الذين تحملوا لوصول هذه الرسالة الشيء الكثير، هؤلاء سنأخذ أجورهم عند الله، فتسمع قصة من أعجب القصص، وهي من القصص المعروفة، لكنها دائما تكون شاهدا عظيما على العقل الرباني. هذه القصة مشهورة وهي قصة أبو طلحة، رضي الله عنه، وأن النبي ﷺ انتدب إليه ضيفا، وذهب أبو طلحة وقال لامرأته هذا ضيف رسول الله ﷺ، قالت والله ما عندي إلا قوت الصبية، فقال لها نومي صبيانك، واطفئي السراج، وقدمي ما عندك للضيف ونوهمه أننا نأكل، ففعلا ذلك. فلما غدا على رسول الله ﷺ قال له هذه القولة العظيمة العجيبة، قال النبي ﷺ لأبي طلحة "عَجِبَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ مِن فَعَالِكُما" وقد ذكر أهل العلم أن هذه القصة سبب لنزول الآية، انظر لهذا العقل الرباني الذي اختار أن يطعم ضيف رسول الله ﷺ، على أن يأكل هو أو يأكل حتى أبنائه.

انظر لمواقف عظيمة؛ قد ذكر في معركة اليرموك، أن حذيفة العدوي طلب ابن عم له في الجرحى وكان معه شيء من الماء، حذيفة ذهب يبحث عن ابن عم له، وعرف أنه من الجرحى، وكان معه ماء علَّ الماء يكون سبب لحياته، فوجد ابن عمه فقال له اسقيك فأشار أن نعم، ثم سمع رجل يصيح فأشار ابن عمي، يحكي حذيفة، أن انطلق إليه، فكان هذا هشام ابن العاص، فقال له حذيفة أتشرب؟ فسمع صوت آخر، فأشار هشام أن انطلق إليه فجئته فإذا به قد فاضت نفسه، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، ورجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات. فيقول عجبت من إيثارهم، رحمهم الله تعالى. هذا العقل الرباني الذي ينظر للأمور على أساس ماذا يقرِّب إلى الله. فانظر إنهم {يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}. المهم هنا أن نعرف ان رب العالمين قد امتدحهم، وأخبر عن أمر مهم، سبحانه وتعالى، في هذا العقل الرباني، وهو أن يوقى الإنسان شح نفسه فسيكون عاقلا عقلا يمنعه من الخسار، بل يجعله من أهل الفلاح، لذلك يقول، عز وجل، {وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} الضمير الظاهر يدل على أنهم هم وليس غيرهم من أهل الفلاح، وهذا يفهمنا لماذا كان عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه، يطوف بالبيت ويقول اللهم قني شح نفسي، لا يزيد على ذلك، فقيل له أندعو فقط اللهم قني شح نفسي؟ هذا الدعاء سيجمع لنا الخيرات؟ فقال لهم إذا وقيته لم افعل سوءا، هذا هو العقل الرباني الذي يعرف انه لو وقي شح نفسه لن يفعل سوءا،

لكن ما دامت نفسه موجودة تحاربه وتضاربه وتريد سينحرف عقله في قراراته، ستنحرف قراراته، ستتأثر نفسه بهذه النفس التي لم توق شحها. لهذا كان يقال شح النفس فقر لا يذهبه غنى المال، بل يزيده.

المقصد ان أصحاب العقول الربانية لهم نموذج حي من غير الأنبياء والمرسلين، لئلا يقول أحد هذه مرتبة الأنبياء والمرسلين لا نستطيع أن نكونها، نقول لا، قد سمعنا في أواخر آل عمران عن صفة الإيمان، وكيف أنهم {يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، وتجدهم ربنا، ربنا، ربنا، ينادونه، سبحانه وتعالى، ورأينا نموذجا أخبرنا عنه القرآن. أخبرنا القرآن عن أصحاب رسول الله ﷺ، الذين اصطفاهم رب العالمين له، رضوان الله عليهم جميعا، هؤلاء الصحابة الكرام، وهنا النموذج عن الأنصار، كيف أمرهم هذا العقل الرباني الذي أراد رضا الله ووعد بالفلاح، كيف أمرهم هذا العقل بأن يتنازلوا عن أمور كثيرة الناس يتنافسون عليها، وكيف جمعوا تنافسهم على رضا الله، سبحانه وتعالى، وعلى متابعة رسول الله ﷺ. كيف عقولهم أرشدتهم أن هؤلاء المهاجرين مستحقين للمحبة، وأن هذه الصلة التي بينهم أعظم من صلة الدماء، وكيف كانوا يعالجون في صدورهم ما النفوس عادة يظهر بها، لكن تصور هذا العقل الرباني كيف لما النفس تجد حسدا أو تجد غصة من كون أن هذا أخذ وهي ما أخذت، وهذا له مكانة، هذا مدح وهي ما مدحت، وهذا ظهر وهي ما ظهرت، تصور كيف يهجم العقل الرباني على هذه النفس، ويزيح هذه

الحاجة، يزيح هذا الحسد، يمنعها، يطهرها، بل ويرتقي بهذه النفس أن يؤدبها فيجعلها تؤثر ولو كان بها خصاصة، وهذه هي علامة العقل الرباني؛ أن يوقى الإنسان شح نفسه.

ونحن نسير في هذا النموذج في آيات سورة الحشر سنجد {الَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ}، انظر لعقولهم. هؤلاء الذين سبقوا؛ أصحاب رسول الله ﷺ، الأنصار الذين نصروا هذا الدين، كان لهم من الكمال في العقل الرباني ما كان. انظر إلى {الَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ} في أحسن ما يقال أن {الَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ} يعني من التابعين إلى يوم القيامة. هؤلاء، إن شاء الله، نحن ندخل فيهم، ونسأل الله ان يرزقنا عقولا توصلنا هذا المقام. أول صفة سنجد أن {الَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا} نلاحظ هذا العقل الرباني، ما حاله؟ هل طلب لنفسه فقط المغفرة؟ أو أنه شعر بارتباطه بمن قبله؟ انظر كيف قاس هذا العقل المسالة، قال الله، عز وجل {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا} هذا أمر طبيعي أن يطلب الإنسان لنفسه المغفرة ما دام أنه مؤمن، وأن هذا من الأمور المهمة في حياته، ليس فقط لنا {وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}، وأيضا طلبوا {وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا}، ونسمع مرة أخرى {رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}، صفة عظيمة. هذه الصفة تقربهم من الذين قبلهم وتدل على أن العقل الرباني لا بد انه يبحث في المشاعر الإنسانية، لا بد أنه يبحث ماذا يوجد في قلبه. عرفنا أن الأصحاب الكرام يحبون ولا يجدون في صدورهم ويؤثرون، ومدحهم رب

العالمين وعلمنا أنه {وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. نسمع هؤلاء {يَقُولُونَ رَبَّنَا}، ماذا يريدون؟ {اغْفِرْ لَنَا} ليس لنا فقط، {وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}. هذا دعاء كل من أتى من بعد أصحاب النبي ﷺ، أصحاب هذا العقل الرباني ما حالهم؟ ليسوا منقطعين عمن قبلهم، بل مرتبطين بمن قبلهم ممن سلفهم من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن أتباعه، ومن كل من سار على هذه الطريق. لا يرى نفسه منفردا أبدا، إنما يرى أنه مرتبط بمن قبله، ويرى نفسه قد من الله، عز وجل، عليه بأن سخر له من حفظ هذا الدين.

فالله، وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، حفظ هذا الدين بتسلسل المؤمنين وتسلسل ارتباطهم ببعض، والله إن هذه آية من الآيات، فانظر إلى الأصحاب الكرام كيف رزقوا بالتابعين يجلسون في مجالسهم، ويتعلمون منهم، وينقلون الخير عنهم، ثم كيف ان هؤلاء التابعين رزقوا بتابعي التابعين، وفعلوا معهم مثلما فعلوا هم مع الأصحاب الكرام. وانظر لهم كيف تابعي التابعين قد رزقوا من ورائهم، وهكذا، وكلهم في نفوسهم هذه الحال؛ في نفوسهم طلب المغفرة لهم ولمن قبلهم، وهذا من آثار طهارة قلوبهم؛ أنهم يطلبون المغفرة لهم ولإخوانهم الذين قبلهم، يعني مرتبطين بهم. هؤلاء الإخوان الذين قبلهم ما العلاقة بينهم؟ العلاقة بينهم الإيمان، الدين، ولذلك وصفوهم بأنهم {الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ} فهذا يشمل من قبلنا إلى أصحاب النبي ﷺ، فإذا نظرنا وراءنا في التاريخ سنقول ما أعظمك يا رب العالمين، حيث هيأت لهذا

الدين من ينقله، وكانوا أسبابا قد قدرتها، أسبابا لنقل هذا الدين. هكذا العقل الرباني ينظر لمن قبله، لا يلتفت لمن قبله فيتهمه ويسبه ويصفه بأنه افترى على النبي ﷺ أو أنه اخترع الأحاديث، أو أنه كذا وكذا! لا والله، بل أهل الإيمان يرون من قبلهم من أهل الإيمان تربطهم الأخوة بهم، وهذا هو الحب والإخاء في الله الذي يمدح عليه الإنسان.

هذا هو الإخاء {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ} نعرف أسماءهم لكن لم نرَ شخوصهم، ارتبطنا بهم بسبب انهم سبقونا بالإيمان الإيمان عند العقل الرباني هو الرابط، فما يستجيب هذا العقل الرباني لمخربين، ولا كذابين يفترون على من سبقنا من أهل الإيمان الذين حافظوا على الدين وبذلوا جهودهم لنقله؛ من الأصحاب الكرام حتى القريبين من العلماء الباذلين. أصحاب العقل الرباني يقولون الله وعد بحفظ الدين، والله جعل لكل شيء سببا، ومن أسباب حفظ الدين تسخير الرجال الصالحين لنقل هذا الدين، فالدين لا ينقل في الأوراق، الدين ينقل في صدور الرجال، والأوراق وسيلة. الله، الذي وعد بحفظ دينه، سخر لهذه الأمة رجال صالحين في كل جيل ينقلون الدين إلى من ورائهم، ويأتي من ورائهم، وهو صاحب عقل رباني، يعرف من هو ربنا وما هي وعوده، فيعرف فضل هؤلاء فيقول {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}. ثم انظر لأصحاب هذا العقل الرباني كيف انهم يطهرون قلوبهم {وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا} إطلاقا. انظر كيف يعرف أصحاب العقل الرباني أنهم إذا اشتغلت

قلوبهم بالغل، اشتغلوا عن الخير والحق، ونصروا الهوى بدل أن ينصروا الدين. فهؤلاء يخشون من انشغال قلوبهم بالغل، والغل هو الحسد والبغض. فأصحاب العقل الرباني يسألون الله أن يطهر نفوسهم من الغل والحسد للمؤمنين، سواء كانوا السابقين، مثلا يقول أحد لماذا لم أكن في عهد النبي ﷺ وأنا أكون صاحب له، لماذا هم أصحابه ونحن هنا؟ يعترض على الله. الله حكيم، سبحانه وتعالى، فلا تقل يا ليتني لحقت فضيلة صحبة النبي ﷺ، وإنما تقول الحمد لله الذي جعلني من أهل الإسلام، ومن أتباع رسول الله ﷺ، ما تطلب ما فُضِّل به الخلق بعضهم على بعض. **الذي يكسبنا الفضيلة هو الدعاء لأهل الفضيلة**؛ تسأل الله أن يرحم العلماء، تسال الله ان يرحم من حفظ سنة رسول الله ﷺ، ولا يكون في القلب غل ولا حسد ولا حقد، إنما فضيلة العقل الرباني أن يسال الله، ونلاحظ أنهم {يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا}، يطلبون المغفرة وضمائرهم مليئة بالمحبة لمن شاركهم الإيمان ويطهرون أنفسهم من رذائل الأخلاق، فنرى ان الله، عز وجل، يثني عليهم بأنهم يضمرون في أنفسهم هذا الطهر، فلا تجد هؤلاء أبدا يجعلون الصحابة والعلماء موضوع للطعن، أو الكلام، أو تفتيش الروايات لإظهار العيوب، لا والله! إنما أصحاب العقل الرباني يعرفون أنهم لا يمكن أن يتفرغوا للتفكر في خلق السماوات والأرض، التي ذكر سابقا أنها من صفاتهم إلا لما تطهر قلوبهم من الغل والحسد، تطهر قلوبهم من

كراهية أهل الإيمان. بل **كل من كان من أهل الإيمان يعبد الله بحب أهل الإيمان خاصة من سبقونا.**

فإذا عرفنا اتصافهم بالإيمان ومحافظتهم على السنة وابتعادهم عن البدعة، فإن قلوب أصحاب العقل الرباني تمتليء بمحبتهم وترى هذا قربة إلى رب العالمين. فانظر إلى هذه الصفة من صفاتهم. وصلنا من نقاش أمس واليوم إلى أن أصحاب العقل الرباني لهم صفات ذكرت في آل عمران، لأن ربنا قال هذه صفات أولي اللباب، لكن هذه الصفات لا بد، من أجل أن نكون من أهلها، أن نفهمها ونحولها إلى نظام نسير عليه. فعرفنا في آل عمران النظام أن هؤلاء {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ} ويجمعون مع هذا التفكر، فهذه عبادتين مهمة. عرفنا أنهم مشغولين، ألسنتهم بذكر الله وقلوبهم بالتفكير فيما خلق الله، فيزدادوا معرفة بالله. وأتت سورة الحشر فبينت صفة من صفاتهم، وقد مضى وقت ونحن نناقش هذه الآيتين، وملخصها أن العقول الربانية مشتغلة بأمر مهم وهو تصفية القلوب وتطهيرها من الغل، من الحسد، من الشح، لأن العقل لا يستطيع أن يتفكر أبدا وهو مشغول عن الله، وهو مشغول عن طاعة الله، وهو مشغول عن ما خلق الله بالخلق، في نفسه شح فينافس هذا ويضارب هذا، ويريد أن ينظر إلى ما أخذ هذا، يتمنى أن يكون مكان هذا، لا يكفيه من حوله، بل ينظر إلى التاريخ أيضا ويقول يا ليتني كنت في هذا الزمان، هذا ليس عملك، بل

عملك يا صاحب العقل الرباني أن تشتغل بالتفكر فيما خلق الله، هذا عقلك، هذا شغلك، هذا ما تقضي فيه وقتك.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد. هنا نجد أن من أكثر الأمور التي تشغلنا عن ذكر الله وعن التفكر فيما خلق الله، وعن فهم كلام الله، بل حتى عن الصلاة الخاشعة، هو اشتغال القلب. لذا من الأدعية التي نرغب إلى الله بها، ونراها صفة من صفات أهل الإيمان، أن نسأل الله أن يقينا شح أنفسنا، ومن الأسئلة التي نسألها رب العالمين من أجل أن نكون من هؤلاء الممدوحين، كما في الآية، أن نطلب المغفرة لنفسنا {وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}، وأن نسأل الله ألا يجعل {فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا}، أبدا. وهذه الطهارة القلبية ليست مسألة ثانوية ابدا، هذه مسألة أساسية، فلا نستهين بها، عقلنا يتراجع إلى الوراء ويفقد حكمته، ويفقد قدرته على الحكم على الأمور حال اشتغال قلوبنا بالغل، يفقد الإنسان العقل الرباني لما يكون من أصحاب الشح والغل، فهذا أمر ليس ثانوي، هذا أمر أساسي. **طهر قلبك ليصفو عقلك وتكون صاحب نور إلهي، نور من نور القرآن**. وقد مر معنا أمس {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا} الروح التي في القرآن لن تدخل إلى روحك وقلبك مشغول بالغل، أبدا. بل، كما يذكر، أن الحكمة محرمة على القلوب التي فيها غل. فالواجب علينا إزالة الغل والحقد من قلوبنا وتطهيرها، وانظر إلى هذا الشرع العظيم الذي يريد منا أن نرقى إلى حد أن نحب لأخينا ما نحب لأنفسنا، وأن نكون ناصحين

له حاضرا وغائبا ولا نغشه أبدا، بل نكون ناصحين له حاضرا وغائبا، وحيا وميتا. تصور هذا المعنى، هذا صعب على إنسان ما امتلأ إيمانا، لكن كلما نمتليء إيمان ويقين، نبذل جهودنا في إزالة الغل والحقد من قلوبنا، وهذا من جملة حقوق المؤمنين بعضهم على بعض.

وانظر كيف ختمت هذه الآية الكريمة، {رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}، نلاحظ كيف ختموا دعاءهم باسمي كريمين دالين على كمال رحمة الله وشدة رأفته وإحسانه، ومن ذلك أنه، سبحانه وتعالى، يوفقهم للقيام بحقوق الله وحقوق عباده. فانظر إلى هذا العقل الرباني الذي يرى حق الله، ويرى حق الناس من وراء حق الله. ما ينظر إلى حق الناس على أساس أنه يعاملهم هو وهم، بل العقل الرباني لما يتعامل مع الناس يرى أن معاملته مع الناس كالتالي؛ منه إلى الله ومن الله على الناس. العقل الرباني ينظر إلى الناس وإلى القيام بحقوقهم ليس على أساس أنه يعاملهم هم، إنما هو يعامل الله، فيقوم بالحق لله، ويطهر قلبه لله، ويزيل ما في قلبه من ضغينة لله، ويمنع عقله من التفكير، ويمنع نفسه من أن يجرها الشيطان إلى أفكار وإلى إثارة أحقاد، يمنعها لأجل الله لأن الله مطلع على ما في القلب وهؤلاء عبيده ابتلينا بهم، فلا يمكن أن يكون الإنسان صاحب عقل رباني حكيم، يتخذ قرارات سليمة، ويتصرف بالطريقة السليمة وهو ينظر إلى الناس على أساس شخوصهم، على أساس أنهم أنداده، لا والله! وإنما ينظر لهم على أساس أن الله ابتلاه بهم، وسيعامل الله فيهم. بهذه الحال يصل الإنسان إلى الراحة وإلى

الحكمة في التصرف. فنرجو من الله، وهو يسمعنا ويرى مكاننا ويعلم سرنا ونجوانا، أن يقينا شح نفسنا، وأن يغفر لنا {وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}، وألا يجعل {فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}، ارأف بنا وأعنا على القيام بما أمرتنا؛ حقك وحق عبادك يا رب العالمين. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد. إن شاء الله لقاءنا غدا في نفس الموعد وسينزل في القناة موعد آخر ليوم غد، فيكون لنا لقاءين، بإذن الله.

اللقاء الثالث يوم السبت ١٢/٢

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا نحمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

لا زلنا في هذه الأمسيات المباركة في هذه الليالي الفاضلة نجتمع، من فضل الله علينا، حول هذا الموضوع، الذي نرجو من الله أن يتضح ويتجلى، وهو الكلام عن العقل الرباني، العقل الذي اتصل بالرب، سبحانه وتعالى، فكان في سيره ربانيا، ممتثلا امر رب العالمين للبشرية {وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}، وهذا الأمر الذي في آل عرمان، كما مر معنا، خوطب به المعلمين ويخاطب به المتعلمين، فيقال للجميع فلتكونوا ربانيين. ومن خلال متابعتنا لبعض النصوص، وهي كثيرة وعظيمة، ومفاهيمها عميقة، نريد أن نصل على صفات هؤلاء؛ أصحاب العقول الربانية. فأول ما لفت نظرنا أن في نفس هذه السورة التي ربنا أمرنا أن نكون ربانيين، معلمين ومتعلمين، في ختام سورة آل عمران ذكر لنا وصف لأولي الألباب، وسمعنا في هذا الوصف كثرة دعاءهم، ربنا، ربنا، {رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ}، {رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا}، {رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا}، {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا} فهذه النداءات أوصلتنا إلى صفة عظيمة من صفات أصحاب العقول الربانية، وكيف أنهم

ذاكرين، {يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا} كيف انهم متفكرين، قلوبهم مشغولة بما خلق الله لهم من مادة يتفكرون بها.

ثم انتقلنا من هذا النص العظيم إلى نصل عظيم آخر يصف حال نموذج فريد في البشرية، ونرى عقول هؤلاء الربانية، كما في آيات سورة الحشر، رأينا كيف انهم بذلوا جهودهم أن يطهروا قلوبهم، فكانت عقولهم الربانية ترى الأرزاق من الله فلا تتحاسد، ترى العطايا أنما هي بحكمة الله فلا يكون في نفسهم شح. فهؤلاء قرؤوا الأحداث التي تدور حولهم كما قرأ الأولين الذين في آل عمران المخلوقات التي حولهم في السماوات والأرض، قرأوها باسم ربهم الذي خلق، قرأوا الأحداث التي تمر عليهم، كما في آيات سورة الحشر، قرأوا رزق هؤلاء وعطاء هؤلاء، تقدم هؤلاء وتأخر هؤلاء، قرؤوا كل هذه الأشياء باسم ربهم الذي خلقهم فلا تجد في نفوسهم شح، بل وصفهم رب العالمين بأنهم يحبون من هاجر إليهم، وأنهم {لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً}، بمعني حسد مما تقدم عليهم به المهاجرين، وتراهم {يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ}، فانظر إلى هذا العقل الذي دفعهم إلى هذه الأعمال، وانظر على قراءتهم للأحداث التي تدور حولهم، وانظر إلى عقلهم الذي ارشد مشاعرهم أن يحبون هؤلاء الذين سبقوهم بالإيمان. ونلاحظ اليوم وفي الواقع، وفي العالم كله الناس يتحرجون من الذين يهادرون إلى ديارهم لأنهم يشعرون أنهم يضايقونهم، لكن هؤلاء عقلهم رباني، يعرفون أن الأرزاق من الله، وأن البركات من الله، وأن العطاء من الله، فما يجدون في صدورهم شيء من

هذا، بل يحبونهم. من آثار هذه المحبة ما ثبت في الصحيح من خبر سعد بن الربيع مع عبد الرحمن بن عوف، فسعد عرض عليه أن يقاسمه ماله وأن يتنازل حتى عن إحدى زوجاته. وهذا أمر معروف انهم أسكنوا المهاجرين معهم في بيوتهم ومنحوهم من نخيلهم. فانظر إلى هذا العقل الرباني الذي كانت نتيجته هذه التصرفات التي تفوق التوقعات. كان في عقل الإنسان البعيد عن الربانية أنهم إذا أتوا وكانوا مهاجرين، وكان في شأنهم حرج، أن يدخلوهم، أن يفسحوا لهم، ألا يضايقوهم، لا أن يبذلوا لهم، لا أن يؤثروهم على أنفسهم، هذا كله آثار العقل الرباني. انظر لهذه الصدور التي هي مرآة تعكس العقل، مرآة تعكس الدين، ما تحمله الصدور مرآة تعكس حقيقة ما يحمله الإنسان من اعتقاد. عرفنا صفاتهم وعرفنا أيضا صفات من جاء بعدهم، وكيف أن هؤلاء ربانيين مرتبطين بمن سبقهم، ولا يقبلون أن يشوشهم أحد على من سبقهم، ولا يقبلون أن يتكلموا في اعراض من سبقهم، بل عقلهم الرباني يقول الله اصطفى لرسوله ﷺ أصحاب، والله اصطفى لدينه حاملين، والله اصطفى لسنة رسوله ﷺ حافظين. فالمحبة قائمة مع غياب جسومهم، فانظر إلى هذا العقل الرباني الذي يقول {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}، هذا العقل الرباني الحريص على الا يكون في القلب غل {وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا}، إطلاقا، من نخالطهم أو من سبقنا. لا يسمح هؤلاء الذين عقولهم ربانية للعابثين في التاريخ والدين بأن يعبثوا في أفئدتهم ويجعلوهم يحملون أحقادا على

من لا يعرفون عنهم شيء، بدل الترضي عن الأصحاب الكرام الذين بذلوا لرسول الله ﷺ، وبذلوا لأجل نشر الإسلام، يأتي هؤلاء فيفسدون على الناس علاقتهم بهؤلاء الكرام؟ العقل الرباني لا يسمح بذلك {وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}، نعم، إنك رؤوف رحيم. فبرحمتك يا ربنا نقلت لنا هذا الدين، حفظت لنا هذا الدين، جعلتنا من أمة رسولنا الكريم.

هؤلاء أصحاب العقول الربانية حالهم واضح بفضل الله، ظاهرهم كباطنهم، إذا تسارعت لهم أفكار وتسارعت لهم ظنون باطلة، وتسارع لهم من وساوس شياطين الإنس والجن أفكار أو أطروحات أو حتى مشاعر تجاه أهل الإيمان، عقلهم رباني مباشرة سألوا الله {لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا}، فهؤلاء يراقبون قلوبهم، لا يسمحون لقلوبهم بالغل. إذا امتلأت بالغل انشغلت عن الوظيفة وفقدت الحكمة وضاع عليها المقصود. لكنها مؤمنة أن ربنا رؤوف رحيم، مؤمنة أن من كمال الله وشدة رحمته وإحسانه أنه يوفقهم أن تخلو قلوبهم من الحقد والغل. من رأفة الله ورحمته بهم أن يحبوا المؤمنين الذين يخالطونهم والذي سبقوهم إلى منشأ الإيمان، إلى آدم، عليه السلام، يحبونهم جميعا. لذلك الحج أحد العلامات الواضحة على مسلك هؤلاء، فإنهم يأتون إلى إرث إبراهيم، عليه السلام، الذي ورثهم إياه، إلى الكعبة، إلى مقام إبراهيم، إلى الصفا والمروة، إلى منى، إلى عرفة، إلى مزدلفة، إلى الأرض التي وطأتها أقدام الخيرين المؤمنين، ويرتبط معهم برباط لا

ينقطع إلى يوم الدين، ما دام أنه بهذا العقل الرباني. فالعقل الرباني يقول نحن مختلفين في طباعنا، نحن مختلفين في استيعابنا للأمور، نحن مختلفين في تربيتنا، نحن مختلفين في نفس الموقف في الظروف المحيطة بنا، فهل أحمل على من يربطني معه الإيمان، أحمل في قلبي غل لأنه قال، أو تصرف، أو فعل، أو حصل منه شأن من شؤون الدنيا، والدنيا مليئة بالشؤون؟ العقل الرباني يقول لا، ربنا {لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا} أول ما يجد الإنسان نفسه يكتشف ان عقدة سوداء قد استقرت في الفؤاد يقول أي عقل هذا الذي يسمح لك أن تحمل غلا لمن آمن بالله، أتدري ما حاله عند الله، أتدري ما مقامه عند الله، " رُبَّ أشعثَ أغبَرَ مدفوعٍ بالأبواب، لو أقسَمَ على الله لَأَبَرَّهُ". لا تسمح لنفسك، تفكر بعقلك الرباني وتقول سبحان ربنا العظيم، تصرفات الناس وردود أفعالهم وانفعالاتهم من آيات الله، أن تحد الإنسان الكلمة تثيره وتغضبه، وتجد إنسان ملك نفسه عند الغضب، وهب له الحلم، وتجد الفرق بينهم كالفرق بين السماء والأرض، وبينهم في هذا الباب أناس مختلفين، بصفات مختلفة في هذا الباب ما بين الغضب والحلم، وما بين قوة الإرادة وضعفها، وما بين العجلة والطيش، وما بين الهدوء الذي يصل إلى حد عدم الحركة. تصرفات الناس آية من آيات الله، ما هو المقياس الصحيح في تصرفات الناس؟ ما هي الدرجة التي تعتبر درجة قياسية، صحيحة نقيس عليها؟ هذا ما له إلا الدين يحكم فيه وليست الأهواء والأذواق. فإذا ربطك بالخلق الإيمان، سواء تعاشرهم

وتعاصرهم أو بعيدين عنك في أجيال مضت وانتهت، إذا ربطك الإيمان فعقلك الرباني يقول هذا هو الرابط، وأما طباع الناس وآثار بيئاتهم وآثار تربيتهم فهي أمور الله قدرها، وسبب بسببها أن الناس فتنة بعضهم ببعض، وجعل اختبار أصحاب العقل الرباني أن يطلبوا من الله {لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا}، يا صاحب العقل الرباني لا تستسلم لتحليلك لشخصيات الناس، وتستسلم لانطباعك الأول، وتستسلم لانفعالك، صاحب العقل الرباني يجمع هذا كله ويقول {لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا}، الرابط بيننا الإيمان.

هذه الصفة تناقشنا فيها أمس وهذه زيادة للبيان. اليوم، إن شاء الله، سنضيف على صفاتهم التي مضت، الصفتين التي مضت أنهم ذاكرين لله {قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ}، وقلوبهم متفرغة للتدبر والتفكر والنظر فيما خلق الله، عقلهم رباني يرى النظام الكوني، مشغول به، مشغول بما خلق الله، ومخلِّي قلبه من الأحقاد، محب للمؤمنين، يقوم بحق الله وحق الخلق، ويسأل الله برأفته ورحمته أن يوفقه لذلك. ثم نجد من صفات العقل الرباني صفة عظيمة جدا ذكرها رب العالمين في سورة الكهف، ومن العجب في هذه الصفة أن الله أمر رسوله، ﷺ، وهو الذي يوحى إليه أن يكون مع هؤلاء، وليسوا هم يكونون معه، بل هو ﷺ يكون معهم، فيقول، عز وجل، {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ}. ونلاحظ أن الآية مليئة بالأمور العجيبة، الله يأمر نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة أن يصبر نفسه، يعني

يحبسها مع المؤمنين، ليسوا هم الذين يحبسون أنفسهم معه، بل هو يحبس نفسه معهم. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

ثم يأتي شيء عجيب، صفتهم التي اشتهروا بها، وقد مر معنا أن الاسم الموصول لما يطلق على أحد هذا يدل على أنهم قد اشتهروا بهذه الصفة، فنسمع هنا {الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} هذه الصفة اشتهرت عنهم، ما هذه الصفة العجيبة؟ وما أثرها على العقل الرباني؟ ما أثرها على تفكير الإنسان؟ كيف يكون هذا الإنسان لما يدعو ربه بالغداة والعشي؟ هذا معناه أن ما عنده غير الله، لا يناجي إلا الله، لا يسال إلا الله، لا يرجو إلا الله. من عجائب هذا الوصف أنك تجد هؤلاء الذين وصفهم الله أنهم {يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ}، وهي أول النهار وآخره، ويدعون هنا تجمع بين يعبدون وبين يسألون. معنى هذا أن هؤلاء الذين أمر النبي ﷺ بأن يحبس نفسه معهم، أمورهم كلها عائدة إلى الله، عندهم عقل رباني، هذا العقل الرباني ماذا يقول؟ الملك ملك الله، والأمر أمر الله، والرازق هو الله. فإذا قدمنا على عمل، رغبنا في شيء في الغداة، فحالنا أن نعيد شأننا إلى ربنا فنقول ربنا يسر لنا الأسباب، ربنا احفظنا، ربنا، ربنا. فهؤلاء تجدهم غاية في العناية بمناجاة الله. {يَدْعُونَ رَبَّهُم} بمعنى أنهم يسألونه ويرجونه ويعبدونه، يذكرونه بالتسبيح والتهليل والدعاء والأعمال الصالحة، وطول وقتهم متوجهين إلى الله، واضعين همومهم ورجاءهم عند باب الله، فما تجدهم مشتغلين

عن الله. العقل الرباني يقول حاجتي كلها في يد الله فمن أسأل غير الله؟ حاجتي ملك الله، وهو المِلك فهل يرشدنا العقل لسؤال أحد غير مالك الشأن؟ عقلهم يقول مالك الشأن أمرنا بسؤاله فنحن نسأله ونمتثل لمره، بمعنى أننا في حال نقول فيها يا رب مد لنا بالأسباب، ارزقنا من عندك العطايا، فنجد الأسباب تلوح لنا، ونجد العطايا مدت لنا، فلما تمد الأسباب وتقترب العطايا نمد يدنا باسم الله، نقرا باسم الله، وهذا يجعل الأمر يسير، سهل ما فيه كلام عن الأسباب وغير الأسباب، وإنما سيفهم الإنسان الذي يقرأ باسم الله، {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} سيفهم فهما جيدا أن هذه الحاجات التي يحتاجها الله خالقها، اسمع ماذا يقول رب العالمين وفكر بهذا العقل الربانين ولتكن من الذين وصفوا في هذه الآية أنهم {يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ}، اسمع ماذا يقول ربنا في سورة فاطر {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} اذكروها، أليس لكم عقل تدركون به نعم الله عليكم؟ اذكروها ذكروا نفسكم بها يا أصحاب العقل، {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ}، اسمع وليكن كلام الله هو المرشد لعقلك.

{الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ}، عقلهم الرباني يقول نعمة الله علينا واضحة؛ رزقنا أبدانا صحيحة، رزقنا الإيمان، حتى لو ضعفت الدنيا هو معنا، سبحانه وتعالى، إذا كان الله معنا ماذا نفتقد؟ {اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ}، ثم فلتنظروا، أي شيء تريدونه، {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ

اللَّهِ}، ما قال رب العالمين يخلق هنا، بل قال {يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}، ارزاقنا مخلوقة لنا. هذا أمر هين، فهمه هين، شانه هين، تصور مريم أم عيسى عليه السلام، تصورها وزكريا يدخل عليها المحراب {وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا} من أين لك هذا {قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ} ما الغريب؟ {إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} أنى لي هذا؟ هذا خلقه الله لي، وقد ذكر أنه يكون عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الصيف في الشتاء، وكان عندها من الشأن الذي لا يوجد في البلاد، {أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} تذكر أصحاب العقل الرباني، فزعهم إلى رب العالمين {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} هو يخلق لكم الأرزاق، ماذا تظنون في الأرزاق؟ الأرزاق من مخلوقات الله. تلك الحبة من الرز التي كانت في علم الغيب، ثم زرعها أصحابها في تلك البلاد البعيدة، لو كنا نتكلم عن أرض مكة، مثلا، تأتي فتجد فيها أرزاق، تجد فيها رز زُرع في أرض الهند أو أرض باكستان، كل حبة رز خلقت لأجل فلان. تصور موسم الحج الآن، حبة الرز هذه التي خلقت من أجل فلان، ويأتي فلان من الأرض البعيدة من كل فج عميق، يأتي ويجلس عند هذا الطعام، وتأتيه حبة الرز التي خلقت لأجله في مكان وزمان الله أعلم به. {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ}، تصور هذه الخاتمة التي تعاتب العقل وتطلب أن يكون ربانيا، ويكون مثل الذين وصفوا في سورة الكهف

{الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ}. ما الذي قلبك أيها العقل؟ أي انقلاب هذا الذي انقلبت إليه، أي انقلاب هذا الذي حصل لك فظننت ظن السوء برب العالمين؟ {لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ} كيف انقلب عقلكم عليكم؟ {فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ} الإفك بمعنى القلب، وهذا العقل انقلب، عقل ليس رباني، عقل مقلوب، وإلا اذكروا نعمة الله وستعرفون الأمر بوضوح.

نعود مرة أخر لآية سورة الكهف ونفهم منها هذا العقل الرباني العجيب. وسنعيد العجب في هذا العقل الرباني في صفة هؤلاء، أن رب العالمين يأمر الرسول الكريم، الذي ينزل عليه الوحي، أن يصبر نفسه معهم. فهم، رضوان الله عليهم، قد تمثلوا ما يأمر به النبي ﷺ، ما يأمر به الدين، {يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ}، هم يعرفون من ربهم. وهنا سنخرج إلى القضية المهمة وهي أن هؤلاء يوكلون الأمر دائما إلى الله، ويسألون الله دائما، وينتظرون من الله دائما، ويعرفون أن الله هو خالق ارزاقهم، وأنه هو الذي يمد لهم بالأسباب، وأن الأسباب ملكه فيسألونه مرادهم، ولا يفكرون في أي تفاصيل، الله بيده الممكن والمستحيل. لما ترجع إلى قصة مريم في آل عمران وسؤال زكريا لها {أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا} فتقول له {هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} الله بيده الممكن والمستحيل، وهذا أمر مستحيل في حكمهم. في حكم الناس مستحيل ان يأتي شيء من بعيد، أو يأتي في موسم آخر، أو كذا. قال زكريا في نفسه، تصور هذا العقل الرباني، قال ربنا رب الممكن والمستحيل {قَالَ

رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ} أنت ربي بيدك الممكن والمستحيل {يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} يعرفون أن ربهم رب الممكن المستحيل فيسألونه، ويرجونه قبل أن يفكروا، قبل ان يخططوا، قبل أن يقلبوا عقلهم عقل رباني، يقول بيدك الأمر، {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ}. عرفنا هذه الصفة لهم أن مطلبهم دائما عند الله، سؤالهم دائما عند الله، نقطة البداية عندهم عند الله، ونقطة النهاية عندهم عند الله، في الغداة وفي العشي، يسألون الله، يرجون الله، يطلبون الله، يعرفون أن الأمر بيد الله، كل شيء له سبب، يا رب انت جعلت هذا الكون مبني على التسبب، فارزقنا السبب، انفعنا بالسبب، سهّل لنا السبب، أعطنا يا رب! فيبقى قلبهم معلق بالله، لمعرفتهم وحسن ظنهم بالله، عز وجل.

من هذه النقطة سننتقل إلى النقطة التالية، إلا أننا فقط سنشير إلى ما يضاد العقل الرباني. ربنا يقول للنبي ﷺ {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} انظر لحالتهم، ثم يريدون في هذا كله وجه، سبحانه وتعالى، ولا يريدون الدنيا ولا يجرون وراءها، {وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ}، لا تترك هؤلاء، الآخرين عندهم مشكلة {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} صفات خطيرة تبعدنا عن العقل الرباني ولا نريد ان نشغل نفسنا بهؤلاء في هذه اللقاءات، نريد ان ننتهي من صورة أصحاب العقل الربانين؛ واثقين في الله، يردون أمرهم كله لله، في مقابل الآخرين غافلين، غفل قلبهم عن ذكر الله

واتبعوا هواهم وكان أمرهم فرطا. ستأتي من هنا الصفة التي تلي من صفاتهم، سندخل في الصفة الرابعة وهي تامة الاتصال بالصفة السابقة، ما الذي يجعلهم بهذه الثقة، بهذا اليقين، لا يدعون إلا رب العالمين، متأكدين أنه هو الذي يمد الأسباب، وهو الذي يبارك فيها وهو الذي يمتحنا بالأسباب، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن له الحكمة في منعنا وفي إعطائنا، ونحن متوسلين به على أي شيء بنوا هذه الثقة؟ بنوها على رصيدهم المعرفي، عندهم قاعدة معرفية قوية يقينية، شغلوا أوقاتهم بتحصيل هذه القاعدة المعرفية.

ولنكن معا في هذا التنقل على ما نستطيع لنتصور كيف الإنسان لما يكون عنده هذه القاعدة المعرفية. سنسمع في سورة هود أمر عجيب جدا، في سورة هود ست مواطن، على الأقل، واضحة. هذه المواطن الستة تقول ماذا نظن برب العالمين؟ كيف أصحاب العقل الرباني يظنون برب العالمين؟ أصحاب العقل الرباني عندهم قاعدة معرفية. في سورة هود الآية ٤١ في سياق الكلام عن نوح، عليه السلام، ونلاحظ هذه القصة لا بد أن نكون حاضرين فيها بمشاعرنا خصوصا لما نقرأ سورة هود، كيف هذا الموج الهائل، كيف تحولت الدنيا كلها إلى ماء، وإلى أمواج متلاطمة، وهو على سفينة محاطة بحفظ الله، ثم يقول نوح، عليه السلام، لهؤلاء الذين معه {وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} الشاهد أن تسمع {إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} اسمع ماذا يظن في رب العالمين! هذا ظنه في رب العالمين، ظنه أن ربنا،

وهو الحكيم الخبير العليم المطلع، لن يخذلهم، وهو سيأخذ السبب، أنتم اركبوا لينجيكم الله، {إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}، لولا مغفرته ورحمته لغرقتم وهلكتم مثل قومكم، لكن ربنا غفر ورحم هؤلاء لما أتوا بالسبب، فهذا اليقين الذي في فؤاده بأنه سينجو بهذه السفينة، قرأ الحدث وعاشه باسم الله، تجري على اسم الله وترسو على اسم الله، وتجري بتسخيره وأمره {إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}، نوح، عليه السلام، ومن معه من المؤمنين أتوا بأسباب المغفرة والرحمة، ونحن متأكدين أن من أتى بأسباب الرحمة والمغفرة سيغفر الله له ويرحمه ويحفظه ويوصله سالما.

نحن أتينا بالأسباب ورب العالمين أعطانا سبب سنركبه، لكن هذا السبب إذا قيس بعقل الإنسان، وليس بالعقل الرباني، لم يقرأ الحدث باسم الله، من لا يقرأ الحدث باسم الله سيقول ماذا ستفعل هذه السفينة في هذه الأمواج، وكان ابن نوح صاحب هذا العقل المادي لما قال له والده {ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ} قال بالعقل المادي {سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ} فهو يقول له {لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ} لكن عقله المادي غلب، وهناك العقل الرباني الذي عرف أن الله لما أمره بصناعتها، وأمره أن يأخذ المؤمنين ويركبون فيها، انها ستجري باسم الله فأمرها بحفظ الله، أنها سترسو بحفظ الله فأمرها إلى الله، وأن هذا كله مبني على معرفته بالله {إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}، أتعرفون الله؟ ربنا غفور رحيم، ومن آثار مغفرته ورحمته أن رزقنا هذا السبب، من مغفرته ورحمته ان ستر علينا وغفر ذنوبنا وقبل

إنابتنا. هذه السفينة تجري به في موج كالجبال، لكن ربي غفور رحيم ولو كان الموج كالجبال إذا أتى بأسباب المغفرة، وإذا غفر له ورحمه، حفظه وكان جريانها وإرسائها باسم الله. هذا هو الموطن الأول، وهو أن أصحاب العقل الرباني يعرفون الله فيتصرفون كما أمرهم الله وهم واثقين في الله، لذلك النقطة السابقة أنهم كانت من صفاتهم أنهم {يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ}، يا رب نحن مقدمين على كذا، يا رب نحن ذاهبين للحج، الطف بنا، احفنا، يسر لنا، اجعلها كشربة الماء، يسرها علينا، بردها على الحجاج؟ الطف بنا، كيف يبردها على الحجاج؟ شأن الله، كيف يخرجنا ويدبرنا؟ شأن الله. أمرنا الله ان نركب في هذا سنركب، مد لنا بهذا السبب سنفعل، وهنا في موقف نوح، عليه السلام، السبب بالعقل المادي لا شيء كما كان موقف ابن نوح. نوح، عليه السلام، ابتلي بابنه صاحب العقل الادي، ونوح صاحب العقل الرباني الكامل، ربنا قال لنا اركبوا سنركب، لأن هذه تجري باسم الله، وترسو باسم الله، لا باسم الناس، ولا باسم الحضارة، ولا باسم التقدم، ولا باسم الصناعة، هذه تجري باسم الله، سبحان الله. هذا الأمر سنجده في سورة هود في الآية ٥٦.

هنا سنجد موقفا جديدا عظيما يدل على هذا العقل الرباني أيضا لكنه من أعجب العجب! تجد هود، عليه السلام، أمام قومه يحاجوه، ويرفضون ما جاء به، ويفترون عليه ويقولون {إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ} قال لهم هذا ما عندي {إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي

بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ} لا تنتظرون ولا تهتمون، اجمعوا قوتكم وتعالوا. هذا العل الرباني الذ عنده رصيد معرفة بالله {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم} هذا هو العقل الرباني {مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا} نلاحظ العقل الرباني {إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}. {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ} لن تصلوا إلي، لن تستطيعوا أن تفعلوا بي شيء لأني متوكل على الله، {مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا} الله مالك كل شيء وقادر على كل شيء ويصرف كل شيء كما شاء. انظر كيف يرى الله حصنا حصينا لأن ربوبيته، عز وجل، شاملة كل أحد والرب يدبر أمر المربوب ويحفظه فلا حاجة إلى كلاءة غيره، ولا إلى حفظ غيره، هكذا العقل الرباني وكل الناس تحت قهره وسلطانه، كل الناس أسرى بيده يتصرف بهم كيف يشاء. لهم في ملكه وقدرته، مهما كان الإنسان عنده قوة فهو عاجز عن أن يغير شيء امر الله به. انظر كيف يقول {مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا} الناصية منبت الشعر الذي يكون في مقدمة الراس، لما يأتي الوصف بهذه الطريقة {إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا} كل شيء منقاد له تمام الانقياد. {إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} انظر إلى هذا العقل الرباني كيف يقول، لا أحد يستطيع أن يضرني، وربنا على صراط مستقيم، على طريق الحق والعدل في ملكه، فهود، عليه السلام، يرى أن ربنا أرسله يبلغ الرسالة، وأمره أن يواجههم فمن المؤكد أنه لا يسلطهم عليه لأنه لا يضيع معتصم به ولا يفوته ظالم، سبحانه وتعالى. وانظر إلى هذه الثقة

واليقين {إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}، هذا ظنهم بربهم، ماذا تقول عن ظنك بربك؟ هذا هو العقل الرباني الذي يعرف الله، ويتوكل على الله، ويثق في الله، ويرى أن كل شيء بأمر الله.

ننظر أيضا في الآية التالية، آية ٥٧ ونجد أن هود، عليه السلام، لا زال يتكلم عن ربنا. يخاطبهم إذا توليتم فأنا قد ابلغتكم ما أرسلت به إليكم وربنا، سبحانه وتعالى، مالك كل شيء فيستخلف ربي قوما غيركم، وتظنون أنكم إذا كفرتم تضرونه؟ لا والله، لا تضرونه شيئا، لن تبلغوا ضر الله فتضروه، بل تضرون أنفسكم، وكفركم وترككم هذا لا ينقص في ملكه شيء. هذه كلها اعتقادات صاحب العقل الرباني، إلى أن نصل إلى هذا التصريح {إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ} هذا هو صاحب العقل الرباني، يفكر بهذه الطريقة، ربنا رقيب على كل شيء، مهيمن على كل شيء، لا تخفى عليه أعمالكم. لا يمكن أن تضروا أحد هو أراد حفظه، سبحانه وتعالى، وإذا سلطكم على أحد إنما ابتلاه بكم، فالله الحفيظ، حفظه مشهود له، لا تظنون أن ربنا الحفيظ يترك من أراد حفظه، لا والله! {إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ} فلا يمكنكم أن تضروه، من أراد الله حفظه، وإذا سلطكم على أحد فهو بأمره، سبحانه وتعالى. لا زال في السورة مواطن أخرى، هناك موطن لصالح وكيف يقول فيه {إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ}، {إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ}، {إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}. إن شاء الله نقف على هذه الآيات المباركات في لقائنا غدا، بإذن الله، ونكمل الكلام عن هذا الرصيد المعرفي الذي يجعل العقل رباني.

نسأل الله ان يرزقنا عقلا ربانيا صالحا مصلحا، اللهم آمين. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

اللقاء الرابع يوم الأحد ٣/ ١٢

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا نحمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

لا زلنا نتقرب إلى الله في هذه الأيام المباركات بالاجتماع حول العلم، فالعلم من القربات، بل أعظم القربات بعد العبادات المفروضة. وقد يسر الله لنا أسبابا ما مرت على خواطرنا، فجعل الشيء البعيد قريب، سبحانه وتعالى، منَّ علينا بهذه المنة، فله الحمد أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، اللهم تقبل منا الاجتماع حول العلم، حول ذكرك وشكرك واجعلها قربى مضاعفة في هذه الأيام المباركة. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

نناقش في هذه الأمسيات أمر غاية في الأهمية، وهو موضوع نزاع؛ العقل الذي تسلَّق عليه بعض المرتزقة الفاسدين فجعلوه وسيلة لإنكار رب العالمين، وهو والله هبة من الله، هبة عظيمة، هبة ترفع الإنسان وتجعله ذا كرامة. لكن لا بد أن يكون هذا العقل رباني من أجل أن يكون سببا لكرامة الإنسان، فالعقل الرباني هو العقل الذي اتصل بالرب، سبحانه وتعالى، فكان في سيره ربانيا، ممتثلا أمر رب العالمين للبشرية، {وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}. وقد مر معنا أن هذا الخطاب خوطب به

المعلمون، ويخاطب به المتعلمون، فيقال للجميع فلتكونوا ربانيين. ومن خلال متابعتنا للنصوص التي تيسر لنا، تبين لنا شيء من صفات أصحاب العقول الربانية، لأن غيرهم ليسوا أصحاب عقول، الله مدح هؤلاء، سماهم أولو الألباب. أصحاب عقول ممدوحة من رب العالمين، هي عقول ربانية متصلة برب العالمين، كما تبين، ومن صفاتهم، كما في آل عمران، أنهم ذاكرون {يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ} وأنهم متفكرون {يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، وأنهم منشغلون، أفئدتهم منشغلة بما خلق الله مادة للتفكر، فهذه المادة التي تحيطهم، قلوبهم منشغله بها، لا يضربون بسهم في الخيال ولا يتخرصون من عند أنفسهم، بل يتفكرون في خلق السماوات والأرض.

عرفنا هذه المادة وعرفنا صفاتهم، كما في آل عمران، وعرفنا أيضا من سورة الحشر انهم يبذلون جهودهم في تطهير قلوبهم التي هي مكان نظر الرب. قلوبهم هذه التي في نفوسهم، القلب النفساني، هي التي تعقلهم عن الخطأ، هنا قلبهم، فهم يبذلون جهودهم في تطهير قلوبهم وتخليتها من الأحقاد، فالأحقاد تشغل العقول عن القيام بما يجب، فهم يقومون بحق الله وحق الخلق. ما الذي يجعل عقولهم لا تحقد؟ قلوبهم التي فيها العقول، كما ذم الله الذين لا يملكون عقولا، عقولهم ليست ربانية، قال عنهم {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} القلب لما يخلو من الأحقاد يستطيع الإنسان أن يعقل، والإنسان لا يستطيع أن يخلو من الأحقاد إلا إذا كان معه هذا العقل الرباني، لأن

العقل الرباني أن الأمور أرزاق فلا يتحاسد، يرى العطايا بحكمة الله، فلا يكون في نفسه شح. لذلك في الحشر وصف هؤلاء أصحاب العقول الربانية {لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً} بل إن أصحاب العقل الرباني تصل عقولهم أن تأمرهم بالإيثار على أنفسهم، {يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ} ولو كانوا في غاية الحاجة، لكن عقولهم تقول الرزق من عند الله والدنيا فرص، فأي فرصة أجد فيها قربى سأبذل ولو كان في ذلك النقص علي، ولو كان بي خصاصة. لذلك انظر إلى هؤلاء يرعون الأيتام، ويحسنون للمساكين، ويفعلون كل شيء يمكنهم لما يجدوا فرصا، لأن أصحاب العقل الرباني يعرفون أن الناس لا يجتمعون بالناس، ولا يلتقون بهم، ولا يتقاطعون في نقطة إلا بأقدار الحكيم العليم، سبحانه وتعالى. فمتى التقيت بصاحب حاجة فأنا ابتليت به، كيف سأتصرف معه؟ لذا أحيانا لا يكون معي شيء أستطيع أن أتصرف به، ما عندي مال ولا عندي سعة اساعده بها، فأمرتني الشريعة أن أحسن إليه بالكلام، أن أقول قولا معروفا. تصور أن الشريعة الغراء، التي من محاسنها مثل هذه الأوامر يأتي أحد ينتقدها! لكن أصحاب العقل الرباني يعرفون أن هذه الشريعة فوق هذا الانتقاد، وأن المشرع هو الله الحكيم، فأصحاب العقل الرباني يقولون يا الله، كم لهذا الدين من محاسن، الإنسان ربما لا يملك مالا، لا يملك سعة في رزق، لكن يمكن أن يتقرب إلى الله بكظم غيظ، وبكلمة طيبة، فتجد أن هؤلاء أصحاب العقول الربانية، كما وصفهم الله، يبذلون جهودهم في تطهير قلوبهم وتخليتها من الأحقاد.

من أجل ألا يذهب الوقت في الإعادة نذكر سريعا ما مر معنا، عرفنا أيضا أن من صفات أصحاب العقول الربانية أنهم مرتبطين بمن سبقهم، لا يقبلون أن يتكلموا في أعراض من سبقهم من أهل الإيمان، بل عقلهم الرباني يقول أن الله اصطفى لرسوله ﷺ اصحابا، والله اصطفى لدينه حاملين، والله اصطفى لسنة رسوله ﷺ حافظين، فالمحبة قائمة لهؤلاء الذين سبقونا، مع غياب جسومهم، {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ}، ما أعجب هذا العقل الرباني الذي يجعل الرابط القوي هو الإيمان، انظر كيف هذا العقل الرباني حريص على ألا يكون في قلبه شيء من الغل، بل عكس ذلك، يكون في قلبه حب وارتباط بسبب الإيمان. فيا للعجب من الإيمان الذي يربطنا نحن هنا في هذه الأعوام، بإبراهيم، عليه السلام، يربطنا بموسى، عليه السلام، يربطنا بعيسى، عليه السلام، يربطنا بيونس، عليه السلام. تصور هذا الإيمان كيف يربط الإنسان بمن ساروا على درب الإيمان. وهذا الأمر نتلمسه خاصة في الحج، والنبي ﷺ يقول "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى مُوسَى" صلى الله عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأتم التسليم "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى مُوسَى عليه السَّلامُ هابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ، وله جُؤارٌ إِلى اللهِ بالتَّلْبِيَةِ"، تصور هذا الارتباط، يقول ﷺ "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى يُونُسَ بنِ مَتَّى عليه السَّلامُ علَى ناقَةٍ حَمْراءَ جَعْدَةٍ عليه جُبَّةٌ مِن صُوفٍ، خِطامُ ناقَتِهِ خُلْبَةٌ وهو يُلَبِّي" يا الله! كل ملبي اليوم مرتبط بالإيمان بمن قبله، هذا هو العقل الرباني؛

يرتبط بأهل الإيمان ويقول {وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا}، الحمد لله.

ثم تبينت لنا الصفة الثالثة لأصحاب العقول الربانية، كما في سورة الكهف، وهي صفة عظيمة جدا وهي أنهم {يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} هذه الصفة اشتهرت عنهم، وفي هذه الآية تأملات كثيرة تحتاج إلى لقاءات منفصلة، لأن تصور كيف وصفهم، اشتهروا {الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} والرسول ﷺ، الذي يوحى إليه، يؤمر بأن يصبر نفسه معهم، وصفتهم أنهم {الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ}، هؤلاء ما عندهم إلا الله؛ يعبدونه ويدعونه ويسألونه ويناجونه ويطلبون منه شأنهم، سؤالهم لله دائم، يقينهم أن الأمر بيده، يعرفون أن لكل شيء سبب، فيطلبون مالك الأسباب أن يعطيهم الأسباب، أن يسهل لهم الأسباب، أن ينفعهم بالأسباب، فما تقطعهم الأسباب عن الله أبدا! بالعكس أصحاب العقل الرباني يعرفون ويفحصون الأسباب ويقولون ربنا رزقنا هذا السبب من حيث لا نحتسب، ويفكرون كيف ترتبت الأمور، ويرون بديع فعل الله وصنع الله في ترتيب الأسباب، وإعطاء المسببات مبنية على الأسباب، وهي من أرزاقه، سبحانه وتعالى. فقلوبهم تعرف كيف الله وضع لهذا الكون قانون. نعم، العطايا تأتي من وراء الأسباب، لكن الأسباب لا تحجبنا عن رب الأسباب، الأسباب تجعلنا نطلب رب الأسباب، الأسباب. فهم {يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ}، فأصحاب العقل الرباني يقرؤون باسم ربهم الذي خلق، يفهمون فهما

جيدا أن هؤلاء أغنياء وهؤلاء فقراء لأن الله قسم بينهم، هؤلاء عندهم أسباب وهؤلاء منعت عنهم الأسباب بحكمة من الله. يفهمون أن كل ما حولهم تدبير من رب العالمين يزيدنا إيمان به. هذه الصفة هي الثالثة لأصحاب العقل الرباني.

نأتي للصفة الرابعة من صفات أصحاب العقل الرباني، وهي تامة الاتصال بالصفة السابقة، كما مر معنا. ستلاحظ أن هؤلاء عندهم قاعدة معرفية بالله قوية يقينية، وهذا السؤال الذي لا بد أن نسأله نفسنا دائما، هل نعرف الله؟ لأن صاحب العقل الرباني عقله سيمنعه عن الخطأ لأنه يعرف ربه. فتصور الإنسان إذا كان يعرف الرحمن، ماذا سيكون حاله؟ وتصور لو ما كان يعرفه، لنرى في هذه النقطة، وإن كنا أمس ناقشناها، لكن لنزيدها بيانا. الصفة الرابعة من صفات أصحاب العقل الرباني أنهم أصحاب معرفة بالله، شغلوا أوقاتهم بتحصيل قاعدة معرفية وعليها بنوا ثقتهم بالله. يجب ان يعرفوا الله، يطلبون معرفة الله، ولله المثل العلى، سنضرب مثال لنتصور أن العقل يوجب علينا معرفة الله، ولو اكتشف الإنسان هذا الأمر، واتجه لمعرفة الله، سيصبح عقله ربانيا. سنستشهد بمثال عن حال الناس في الدنيا ومنه نعرف أن العقل يوجب علينا أن نعرف الله، لكن المثال ليس له علاقة بالله، عز وجل. نفترض أن إنسانا أتى للدنيا ولسبب ما عرف والديه، والأسباب لهذا الشيء كثير، وتربى وعاش وفهم أنه الآن الذين يحيطون به ليسوا والديه، ما عرف هو ابن من، أو ما عرف أين هم، وهذه

الأحوال تحصل بأسباب كثيرة، نسأل الله أن يزيل أسبابها، الشاهد ماذا سيفعل هذا؟ هل سيستسلم أنه لا يعرف والديه؟ هل ستكون حالته النفسية مثل حال الإنسان الذي يعرف والديه؟ هو يرى أن تعريف ذاته مرتبط بمعرفته لوالديه، فتجده حريص كل الحرص على أن يعرف والديه، وحريص كل الحرص على أن يبعث عنهما، ويريد أي خيط يوصله إليهما. لو مثلا هذا كان ناتج لحرب، أو هذا كان ناتج لهجرة، تجده يقول أين اصولي، ومن أي بلد يتوقع أن أكون، وتقريبا عائلتي ما تكون؟ واليوم لما الناس أدخلوا في هذا الباب التحليل الطبي، إلى آخره، أصبح الناس يمكن أن يدفعوا أموالا لأجل أن يعرفوا نسبهم، يعرفون من هم والديهم، ما هي عائلاتهم. يجب أن نتصور هذا المعنى بوضوح، ونشعر بشعور هذا الإنسان الذي يجهل من والديه، وكيف هو في غاية الحرص على معرفة والديه. لك أن تتصور، بكلام مختصر، أن الإنسان لا يمكن أن يشعر بذاته إلا لما يعرف من الديه، أو من هي عائلته. إذا لم يعرف هذا يدخل في غربة شديدة، تكاد تذهب عقله، إلا من عصمه الله. لأن الإنسان إذا فقد المعرفة بمكن سبب في خروجه للعالم، ودخل في جهل بنسبه واصله، وانقطعت من يده سلسلة السند التي تربطه بشجرة الإنسانية التي يعيش فيها، يدخل في سلسلة من البحث في كل مكان، يسال من أبي؟ من أمي؟ كأنه يريد أن يصل إلى من أنا؟

وهذا الأمر ليس غريبا، في الحديث في الصحيحين، لما النبي ﷺ قام خطيبا في الصحابة وقال "مَن أحَبَّ أنْ يَسْأَلَ عن شيءٍ فَلْيَسْأَلْ عنْه"،

وقال ﷺ "فَوَاللَّهِ لا تَسْأَلُونِي عن شيءٍ إلَّا أخْبَرْتُكُمْ به ما دُمْتُ في مَقَامِي هذا"، وظهر على النبي ﷺ الغضب؛ هي قصة فيها من أحوال المناقشين. كان النبي في هذه القصة غاضب، والصحابة شعروا بغضبه وأصبحوا يستغفرون ويبكون خوفا من أن يقع عليهم شيء من غضب الله، حتى أن عمر، رضي الله عنه، برك على ركبتيه وقال رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا. مان المثير في هذا الموقف شيء للمنافقين الذين كأنهم شككوا في الرسول ﷺ. أين الشاهد من هذه القصة؟ هل شعرنا كيف كان النبي ﷺ غاضب، هل شعرنا كيف الصحابة كانوا خائفين من أن ينزل عليهم غضب الله؟ في وسك هذه الحال الصعبة قام عبد الله بن حذافة، فقال: من أبي يا رسول الله؟ وهو مؤمن ليس من المنافقين، فقال له الرسول ﷺ أبوك حذافة. ثم أكثر النبي ﷺ أن يقول سلوني، سلوني وهو غاضب. عبد الله بن حذافة سأله وهو يرى الغضب في وجه النبي ﷺ. ما الشاهد من هذا الأمر؟ الصحابة كلهم ما جرءوا على سؤال النبي ﷺ لما رأوا علامات الغضب عليه ﷺ، لكن من الذي سأله؟ سالة عبد الله بن حذافة. لماذا سأله رغم شعوره بغضب النبي ﷺ؟ هذا هو الأمر؛ شعوره بانقطاع النسب عقدة اجتماعية، لأنه لما يكون جاهل بنسبه كان جاهل ففي نسبه، في بعض الروايات أنهم كانوا يلاحون عبد الله بن حذافة ويدعونه إلى غير ابيه، يعيرونه بنسبته إلى غير أبيه، فهذا كان يحزنه، كأنه عقده. فبرغم غضب النبي ﷺ ما استطاع أن يكتب رغبته الجامحة في معرفة حقيقة

نسبه، رغم ما كان في تلك اللحظة من خوف الصحابة من النبي ﷺ، هذا الشاهد الذي اخذنا فيه وقت إلى ماذا نريد أن نصل؟ نريد أن نصل إلى هذه النتيجة المهمة جدا؛ أن الإنسان يجتهد اجتهادا عظيما حتى يعرف من والديه، ما هو نسبه، من أتى به إلى هذه الحياة؟ على أساس أن يكون مرتبطا، منسوبا، له وصل. هذا سؤالك عن الخلق؛ تريد أن تكون منسوبا إليهم، معروفا بهم، شاكرا لوجودك بسببهم، يقول من والدي؟ إذا كان هذا مع البشر الذين أتوا بك بأمر الله، فكيف لا يكون عندك معرفة بالله الذي خلقك.

المعرفة بالله حاجة عقلية، العقل يحتاجها، لأننا لو عدنا {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا} لم نكن شيئا مذكورا، ولم يكن والدينا ولا والديهم إلى آدم، عليه السلام، لك نكن شيء مذكور والله جعلنا مذكورين، جعلنا موجودين، ما أعظم نعمة الله علينا في اننا موجودين، فكيف ننشد معرفة غيره ونترك معرفته، سبحانه وتعالى؟ هذا الكلام لا زال في القاعدة الرابعة، انظر كيف الإنسان بعقله يحتاج أن يعرف من هو الله الذي خلقه وأوجده وأتى به في هذه الدنيا. من الذي أوجدني؟ يجب أن يسأل الإنسان نفسه هذا السؤال فيصل إلى ضرورة معرفة الله، فإذا وصل إلى هذه الضرورة وبدأ يكون قاعدة معرفية، سيصل إلى عقل رباني يرشده كيف يتصرف. وكنا أمس وقفنا مع سورة هود التي كان فيها المرسلين، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، كانوا يتكلمون من حيث معرفتهم برب

العالمين. سمعنا نوح، عليه السلام، يأمر أولئك القوم الذين نجاهم الله من الغرق إيمانهم. يأمرهم بالركوب ويركبون باسم الله، وهو يطمئنهم {إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} لولا مغفرته ورحمته لغرقتم وهلكتم مثل قومكم، تجري على اسم الله، ترسو على اسم الله، تجري بتسخير الله. فنوح، عليه السلام، يطمئنهم أنتم أتيتم بأسباب المغفرة والرحمة اطمئنوا {إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} انظر إلى العقل الرباني الذي يقول أرأيتم هذه السفينة الصغيرة.؟ ستنجو لأنها ستسير باسم الله، وستجري باسم الله، وسترسو باسم الله، وأنتم ستنجون من دون كل هؤلاء الناس لأنكم أتيتم بأسباب المغفرة الرحمة، وهو الإيمان، فاطمئنوا، يقول لهم أنا أعرف ربي {إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} في مقابل أن الله ابتلاه بابن عقله مادي، {قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ}.

ثم سمعنا عن هود، عليه السلام، كيف يقول لقومه، ومن قومه؟ الأشداء الأقوياء، يقول لهم {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}، ربنا يدبر الأمور، ولذلك بعدها قال {إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ} صاحب العقل الرباني يفكر بهذه الطريقة، أنا أعرف ربنا، المفسد عنده ليس كالمصلح، المؤمن عنده ليس كالكافر، الصالح ليس كالطالح {إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}. أنا لا أبالي في الدنيا لكن أعرف أن ربنا مطلع، ربنا على صراط مستقيم، ربنا يعلم ما في أفئدتنا، وربنا وحده لا شريك له يحفظنا. فمن عنده هذا العقل الرباني، ويسير على سير الأنبياء، يواجه هجوم

شياطين الإنس والجن. واليوم، إن شاء الله، فيما بقي من وقت بعدما ذكرنا نفسنا بما مر معنا من صفات أصحاب العقل الرباني نكمل في هذه الصفة الرابعة، ولا زلنا مع سورة هود ونرى صالح، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، نراه في الآية ٦١ كيف يتكلم عن ربنا، يعرف ربنا ويقول عنه ما يعتقده. سنلاحظ في الآية أنه يأمرهم بأمر واضح، ويذكرهم بأفعال الله {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} هذه الأخبار التي تميز الأنبياء، لا يكلمهم عن نفسه، يكلمهم عن الله {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ} اوجدكم {وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} اتخذكم عمارا، بمعنى أن أعماركم تعمرونها هنا في الأرض، تعمرونها بما ينفعكم. وعمركم في الأرض لأجل أن تقوموا بوظيفتكم. من وظائفكم المهمة جدا التي ستجعل عمركم في الأرض عمرا مباركا أن تستغفروه، تطلبوا منه المغفرة، تكونوا له خاضعين، تستغفروه وتتوبوا إليه وستجدون من الخيرات ما تنزل عليكم، ومن عطاياه، سبحانه وتعالى، الكثيرة المباركة ما يغنيكم ويجعلكم في صالح شأنكم، فارجعوا إلى الله بالتوبة النصوح والإنابة، وأقلعوا عما يغضبه، سبحانه وتعالى، استغفروا مما يصدر عنكم من شرك وكفر ومعاصي، ولا تقلقوا، {إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ}.

انظر هذه المعرفة التي تمنع الياس وتجعل لسان الإنسان لاهجا بالدعاء، ولذلك هذه النقطة مكملة للنقطة التي قبلها. سمعنا في سورة الكهف {الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} هم يفعلون هذا بناء على

أنهم يعرفون ربنا، مثلما ذكر الله، عز وجل، عن صالح عليه السلام، يعرف ربي {إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ} صاحب العقل الرباني يقول ربي قريب مجيب، أنا أعرف ربنا قريب مجيب، إذا دعوته وسالته وناجيته سمعني، وإذا اقمت الصلاة وآتيت الزكاة وانفقت في سبيل الله، أطعمت الطعام، أكرمت الضيف، صمت، لما أتقرب إليه هو قريب، سبحانه تعالى، يقبل العبادات ويثيب عليها أجل ثواب. {إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ} وكلما تقدم الإنسان في هذا الفهم وجد عجبا في نفسه مع إيماننا بعلو الله، سبحانه وتعالى، فنحن مؤمنين أنه قريب لكل أحد بعلمه، ونؤمن بالصفة الأخص من ذلك؛ وهو قربه الخاص من عابديه وسائليه ومحبيه. يا الله! كم لهذه المعرفة من شأن يجعل الإنسان صاحب عقل رباني، يناجي الله في أضيق أحواله، ما عنده موضع ولا مكان ولا حالة ولا أي شان لا يناجي فيه رب العالمين، ربنا قريب. وانظر إلى موقف الكفرة الفجرة، اليهود لعنة الله عليهم، بعدما أراهم الله الآيات، واراهم المعجزات، ثم يطلبون غير الله إله. ويقولون {اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} ويعبدون العجل من دون الله. سبحان الله، كيف هذه الحال، والمؤمن يعرف أن ربنا قريب، سبحانه وتعالى، ما يحتاج هذا المؤمن إلى شيء محسوس مجسد ليرتبط بالإله، بل يعلم أن الله على العرش استوى، وهو مع خلقه بعلمه، وهو قريب من عابديه وسائليه ومحبيه. تصور هذا المعنى لما رب العالمين يقول للمؤمنين، ولنبيه الكريم خاصة {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب}.

فالله قريب، سبحانه وتعالى، ويأمر عباده أن يقتربوا {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب}، اقترب من رب العالمين، لا تجعل بينك وبين رب العالمين حواجز، بل على العكس، عليك أن تجتهد إلى الله بالقرب، وفكر ما الذي يحجزك عن الله، ذنب؟ استغفر منه، معصية؟ اقلع عنها، شعور بالكسل؟ اطلب من الله الحول والقوة. ما هي الموانع التي لا تجعلك تقترب رغم أن {رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ}؟ أليس الله بكاف عبده؟ يجب أن تشعر أن {رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ}، وهذا ما كان صالح، عليه السلام، يأمر قومه أن يدركوه بعقولهم من أجل أن تتحول من الحال السيئة إلى الحال الحسنة. العقول لا تتحسن إلا لما تعرف من هو إلهها الذي أوجدها في هذا الكون. تصور أن هذه المعرفة الربانية لا تعطى إلا للسائلين. لذلك رب العالمين قال: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ}، يجب أن تسأل عن ربنا، فإذا سألت ستجد الإجابة، أما إذا أهملت وما صارت عندك قاعدة معرفية برب العالمين عقلك سيكون تائه لا يعرف يسال من، لا يعرف يتجه لمن وقت حاجته. ربنا قريب ومع قربه مجيب، قريب، سبحانه وتعالى، ألطافه محيطة بالخلق، وخاصة لأهل الإيمان، وهو، سبحانه وتعالى، مجيب لدعوات المؤمنين، بل مجيب لدعوات الإنسان، ويحقق مرادهم، وانظر إلى هذه المعرفة التي عند صالح، عليه السلام، يقول لهم استغفروا ربكم وتوبوا له، وربنا قريب مطلع على ما في افئدتكم، مجيب، يعطيكم سؤلكم، ماذا تريدون؟ ما تريدونه اطلبوه من رب العالمين. ربنا قريب، رحمته قريبة لمن استغفره، ربنا مجيب

يعطي لمن تاب، فما الذي يجعلكم بعيدين عن رب العالمين؟ {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ}. هذه المعرفة من صالح، عليه السلام، كانت بمثابة العنصر الرئيس الذي دعاهم به، قال لهم تعالوا أعرفكم على رب العالمين، معرفتكم به ستصلح عقولكم، لكن ما نفعهم، والسبب واضح؛ أنهم ما آمنوا إلا بالمادة.

ننظر في نفس السورة فنجد شعيب، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهو يحاور قومه ويكلمهم ويبين لهم ويعرفهم بربهم، وفي كلامه شؤون عظيمة منها قوله {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} لكن لنأخذ الشاهد الذي يعرِّفهم بربهم ويرشدهم إلى العقل الرباني الذي المفروض أن يتحرك، في الآية ٩٠ في سورة هود يقول {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} هل تعرفون ربنا؟ والله لو عرفتموه لأقبلتم إليه إقبال الفقراء المحتاجين الذين يرون أن لا نجاة لهم إلا بهذا القرب. استغفروا ربكم، هل تعرفون من ربنا؟ ربنا رحيم ودود، إذا تقربتم إليه شبر تقرب إليكم ذراع. ثم نلاحظ كيف هو صاحب العقل الرباني، هو والمرسلين قبله، صلوات الله وسلامه عليهم، كلهم يقولون إن ربي، يضيف الرب إلى ضمير نفسه، {إِنَّ رَبِّي}، أعرفه، أكلمكم عمن أعرفه، أكلمكم عن الرحيم الودود. يا لله! كيف يعرضون عن الله؟ يقول لهم ما بينكم وبين أن تنجوا إلا خطوة واحدة؛ أن تستغفروا وتتوبوا، وإذا فعلتم هذا ستجدون ربا رحيما ودودا، رحيم لمن تاب وأناب، يرحمه فيغفر له، يرحمه فيتقبل توبته، ليس فقط يتقبل

توبته، لن تكونوا متأخرين، ويكون أحد قبلكم سبق لأنكم كنتم في ذات يوم مشركين أو عاصين، هل تعرفون ربنا؟ ربنا الرحيم الذي يقبل توبة التائبين، إذا صدقوا في توبتهم أحبهم. واسم الودود اسم عظيم من أسماء الله، عز وجل، دليل واضح على أن الله، عز وجل، يحب عباده ويحبونه، هل تعرفون ربنا؟ ربنا رحيم ودود، وإذا عرفتم هذا كيف تتركون حبه وودده لغيره؟ تتركون هذه المحبة وهذا الود لغيره؟ فتبحثون عن ود غيره. هذا الاسم ورد مرتين في القرآن، ورد في سورة هود وورد في سورة البروج في سياق عجيب، في سياق الكلام عن المجرمين الذين أحرقوا المؤمنين، لو تابوا لتاب الله عليهم، وأخبر، عز وجل {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ} الذي يغفر جميع الذنوب لمن تاب، ويعفو عن السيئات لمن استغفر واناب. رحيم غفور، هل تعرفون ربنا؟ ربنا ودود يحب أحبابه محبة لا يشبهها شيء، كما أننا نعتقد أنه لا يشبه صفات الله شيء، صفات جماله وجلاله، فكذلك محبته في قلوب عباده لا يشبهها شيء، ومحبته هو، عز وجل، لعباده لا يشبهها شيء، فهو الودود.

معنى ذلك أن اقترانها بالغفور، وفي هذا الموطن اقترانها بالرحيم، كلها إشارة أنهم إذا تابوا إلى الله وأنابوا غفر لهم ذنوبهم وأحبهم، كأن الماضي غير موجود والمستقبل يبشر بالخير، وسيعاملهم معاملة الذين لم يسبق لهم جرم. الله ودود يحب التائبين، بل الله من فضله على خلقه، وهو غني عنهم، أفرح بتوبة عبده حين يتوب من رجل له راحلة عليها

طعامه وشرابه وما يصلحه فأضلها في أرض فلاة مهلكة، فأيس منها، فاضطجع في ظل شجرة ينتظر الموت، فبينما هو على ذلك الحال إذ راحلته على رأسه، فأخذ بخطامها، فالله أعظم فرحا بتوبة العبد من هذا براحلته، فتصور، هو الغني عن عباده لكن لا يحب لعباده الكفر، لا يحب لعباده الخسار، أتعرفون ربنا؟ {إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ}، يقول لهم مرغبا لو عرفتم ربنا لن تطلبوا غيره. فلله الحمد والثناء على أن عرفنا نفسه ما أعظم بره وأكثر خيره وأغزر إحسانه وأوسع امتنانه. ويا لخسارة العقول التي ما بنيت على معرفة الله. شعيب، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة واتم التسليم، قال لقومه {وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} تعالوا أعرفكم بربنا، خطوة منكم؛ تتقربون إلى الله شبر يتقرب إليكم ذراعا، يقبل توبتكم، بل ويحبكم، لكن ما كان منهم القبول، ولذا عرفهم مرة أخرى بربهم، ولا زلنا نقول أنه لا بد أن تكون عندنا قاعدة في معرفة الله ليكون عندنا عقل رباني.

لما وجدهم معرضين وغير قابلين، ومستهترين، واتخذوا الله، عز وجل، وراءهم ظهريا، نسوا ربنا وجعلوا أمره كأنه شيء لا يهمهم. فهو ماذا سيفعل؟ لن يزيد عن أن يعرفهم كيف سيعاملهم ربهم، فقال لهم {إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}. أنتم تتصرفون بكل استهتار، وتجرون في الدنيا كأنها خالدة لكم، وترون أن النعم التي تحيط بكم كأنها ملككم؟ يقول لهم أنا سأعرفكم من ربنا {إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، سيجازيكم بما تعملون. كونكم

تظنون أنكم مستقرين هنا في الدنيا وتفعلون ما تشاؤون وأن ليس وراء هذا حساب، ليس كما تظنون، {إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}، فهو محيط بكم بعلمه وبقدرته، سبحانه وتعالى، فمثلكم لا يعجز الله. ونحن متأكدين أن أعداء الدين لا يعجزون الله. ربي بما يعمل الأعداء محيط لكن يختبر أهل الإيمان في ظنونهم، فمن عرف الله أصبح صاحب عقل رباني. وتأمل مثل هذا أيضا في سورة يوسف، نترك التأمل في سورة يوسف في الأخبار التي كان يخبر بها يوسف، عليه السلام، عن ربي، كيف كان يقول {إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ}، كيف كان يقول {إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ}، {إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}، هذه قاعدته المعرفية التي بها عامل الموقف، بل المواقف التي مر بها. هؤلاء أصحاب العقل الرباني؛ يعرفون الله وعندهم قاعدة واضحة يتعاملون بها مع الله، وهذه القاعدة المعرفية هي التي ترشدهم في الحياة وتعقلهم عن الخطأ. إلى غد، إن شاء الله، نأتي بالصفات الأخيرة التي سنقف عليها في هذه الأمسيات المباركة عن العقل الرباني. نسأل الله أن يرزقنا عقلا ربانيا يعرف الله ويتقيه، اللهم آمين. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

اللقاء الخامس يوم الاثنين ١٢/٤

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا نحمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

في نهاية أمسياتنا هذه، التي كنا نناقش فيها أمر له أهميته، وهو الكلام عن العقل الرباني، العقل الذي هو هبة الله، أعظم هبة من الله، هبة رفعت الإنسان وجعلته ذا كرامة. لكن تتم الكرامة للإنسان بأن يكون هذا العقل ربانيا، والعقل الرباني هو العقل الذي اتصل بالرب سبحانه وتعالى، فكان في سيرة ربانيا ممتثلا أمر رب العالمين، يعلم أنه ناقص في علمه، متخبط بهواه، متأثر بأصحابه، فيعرف ان هذه كلها تؤثر على عقله، وأن هذه الأمور تضر العقل، لذا يتجه مباشرة إلى العلوم التي جاءت من الوحي، يتجه وهو تام الثقة برب العالمين، وبإرشادات القرآن الكريم والرسول الأمين، ﷺ. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

كما مر معنا، هؤلاء أصحاب العقل الرباني لهم صفات قد تبينت فيما مضى من اللقاءات، من أهمها أنهم ذاكرون متفكرون، وأنهم مطهّرون لأفئدتهم من الغل والحقد والشح، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. وأنهم يبذلون جهودهم في معرفة ربهم، فعندهم قاعدة معرفية

يقينية، يعرفون من هو الله، وكلما زادت الأيام عليهم زادوا يقينا بما يعرفونه عن الله، ما عندهم طريقة التجارب، ما عندهم ثبت لي بالتجربة ان الله يفعل كذا وكذا، هؤلاء يعرفون الله من كلام الله، وكلام رسوله ﷺ، ويأخذون هذا الكلام على محمل الجد، يأخذون هذا الكلام على محمل اليقين، والله من رحمته بخلقه ومن رأفته بهم يحول هذه الأخبار إلى حقائق يتبصرها الإنسان. فهم من العلم الذي يسمعونه ومن الكون الذي ينظرونه يعرفون الله، وكل المواقف التي تمر عليهم تزيدهم بصيرة، فهم أصحاب بصر وبصيرة، ثم إننا قد مر معنا في هذه الصفة الرابعة خاصة، وقفات طويلة وخصوصا مع سورة هود، وتُرِكنا مع سورة يوسف نرى يوسف، عليه السلام، كيف ان عنده معرفة عظيمة عن رب العالمين، عنده معرفة قوية بالله سببت له أنه يتصرف في المواقف، ويفسر المواقف بناء على معرفته لله. {إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ}، {إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ}، {إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}. فهذا، صاحب العقل الرباني، عقله مبني على معرفة الله. نأتي اليوم، إن شاء الله، إلى الصفة الخامسة، والأخيرة، والتي بعدها، إن شاء الله إذا تبينت، نتكلم عما يتيسر من أخطاء العقول، كيف العقل يمكن أن يخطيء فيبعد عن أن يكون ربانيا. لكن أولا ننهي الصفة الخامسة. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

أما الصفة الخامسة فإن العقل الرباني الذي، كما سمعنا، يعرف الله، وقلبه ممتليء بالثقة واليقين في الله، ما عنده فكرة التجربة مع الله، ما عنده هذه الفكرة أبدا. تجد هؤلاء عقولهم تقول **ماذا يريد الله مني في هذا الموقف؟** كلما دخلوا حالا أو حصل لهم شأن في الحياة يقولون ماذا يريد الله مني في هذا الموقف؟ وهذا الأمر، خاصة، يجعل الإنسان متحاشيا هواه، يجعل الإنسان بعيد عن الهوى، قريب من رضى الله، دائما سؤاله ماذا يريد الله مني؟ وهذه مسألة يفهمها العقل لما يصبح عنده علم. أولا العقل الرباني يعرف من هو الله فلما يتصرف ويتكلم يعرف من ربنا، فيتعامل مع المواقف ويفسرها ويقرأها باسم ربه الذي خلق. العقل الرباني يقول عرفت رب العالمين وعرفت عظمته وجلاله ومنته علي، فأنا لن أسير إلا على ما يريد. أنا هنا في الكون مبتلى، مختبر ماذا يريد الله مني، فلما يتعلم الشريعة، وهذا أمر مهم، يعني الطريقة في السلوك التي ترضي رب العالمين، مثلا يسمع قول النبي ﷺ، "إنَّ الحلال بيِّنٌ، وإنَّ الحرام بيِّنٌ، وبينهما أمور مُشتبهات لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس، فمَن اتَّقى الشُّبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومَن وقع في الشُّبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يُوشك أن يرتع فيه، ألا وإنَّ لكل ملكٍ حمى، ألا وإنَّ حمى الله محارمه" فتصور هذا الإنسان المؤمن، صاحب العقل الرباني، سمع هذا الكلام عن رسول الله ﷺ، سمع أن الدين مبني على هذا، وأن الله لما شرع الشرع جعل الحلال غاية في الوضوح، وجعل الحرام غاية في الوضوح، وابتلى الناس أصحاب

العقول بشيء في الوسط "وبينهما أمور مُشتبهات لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس"، ونلاحظ "لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس" هذا العقل سيكون نبيه. لماذا؟ لأنه عرف أن رب العالمين الذي شرع الشريعة قال لنا ان هذه هي الطريقة، أنت ستجد في الشريعة هذا الشيء فهو ليس مخفي وانت ستكتشف، اعرف أن الشريعة بهذه الطريقة؛ حلالها بين، وحرامها بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس. هنا العقل يقول إذن هناك أمور ليست شديدة الوضوح مثل الحلال البين والحرام البين، هناك أمور غامضة على عقلي، رسولنا ﷺ أخبرنا بها.

ماذا يريد الله منا؟ في الحلال أن نستعمله، وفي الحرام أن نتركه، وفي الأمور المشتبهات العقل عليه مسؤولية، بسبب عدم الوضوح يقال اتَّق الشبهاتِ. لا تقل لماذا الأمور ليست واضحة تمام الوضوح؟ تقول بعقلك انا أحب الوضوح، إما حلال أو حرام، العقل الرباني يسأل من بداية الموضوع، ماذا يريد الله مني؟ فلما يسمع "الحلال بيِّنٌ، وإنَّ الحرام بيِّنٌ، وبينهما أمور مُشتبهات لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس"، يتصور المسألة، يتصور أن هناك مساحة فيها شيء من الجهل عند الناس، ليست بوضوح الحلال والحرام، صاحب العقل الرباني الذي يقول ماذا يريد ربي مني هناك مسلك أرشده إليه النبي ﷺ، ما هو هذا المسلك؟ "فمَن اتَّقى الشُّبهات فقد استبرأ لدينه" أنت بهذه الطريقة صادق في أنك تريد أن ترضي الله، وهنا تأتي كلمة الورع وكلمة الزهد. فنفهم أن العقل الرباني سيقول أنا سأتجنب المشتبهات التي لا يدري هي حلال أو حرام

خشية على ديني، ولأن رسولنا الكريم عرفنا وخاطب عقلنا بالمثال، وبين لنا المثال، وأفهم العقول، أخبرها عن النفس التي بين جنبينا، التي نجهلها نحن، أن نفوسنا إذا أدخلناها في هذه المتشابهات، إذا ما اتقينا المتشابهات حتما ستنتقل من المتشابهات إلى المحرمات. وهذا ليس ظنا ولا رأيا، هذا كلام المصطفى ﷺ، والله يوحي إلى رسوله بالقرآن، والسنة من الوحي. فتصور النبي ﷺ كيف يرشد العقل، يقول لعقولنا لو دخلتم باب المتشابهات ستكون حالكم مع نفسكم كالتالي: كراعي يرعى غنما، مقدار تحكمه في الغنم محدود، مهما كان راع ذا خبره لكن لا زال تحكمه في الغنم محدود. بمعنى أنه لو قرب غنمه من سور محاط، سور فيه حديقة، والسور الذي فيه حديقة فيه أشجار على طرف الحديقة، لصاحبها شجر من الداخل. فلو أتى هذا الراعي وساس الغنم بالطريقة السليمة سيبعد تماما عن الحائط، ولا يقول أنا خارج السور ولا علاقة لي بالسور، سيعرف أنه يجب أن يأخذ مسافة أمان بينه وبين السور، لأن غنمه إذا اقتربت من السور والشجر متدلي ستقفز وتأخذ من شجر صاحب السور، وسيورط نفسه مع صاحب الحديقة، لأن اشجاره هذه ربما حملت ثمارا، ربما أفسدها أكل الغنم منها ومنعها عن خروج ثمرها، أو ثمرها خرج فيأكله.

صاحب الغنم، الراعي، يسوس غنمه بالطريقة التي تمنعهم من اقتحام ما في السور، ربما ما دخلوا السور لكن الممتد من شجرة سيفسدونه. أما الجاهل الذي لا يعرف أن يسوس، وأما المعاند فإنه

سيقول أنا ما دخلت سوركم، ولا اقتربت منكم، وإنما هذا الشجر خارج عن السور وهذا غنم لا أستطيع التحكم فيه. كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك لأنه اقترب من الحمى، يوشك أن يقع فيها، يوشك ان يعتدي على أموال الناس. وهكذا الإنسان العاقل يعرف أنه يسيس نفسه في الحلال، وسيبتعد عن منطقة المتشابهات لأنه ما يدخل في المتشابهات إلا وقد حكم على نفسه أن يقع في الحرام. لذلك النبي ﷺ يقول "فمَن اتَّقى الشُّبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومَن وقع في الشُّبهات وقع في الحرام". العقل الرباني يقول ماذا يريد ربنا منا؟ ربنا جعل الحلال بين، وجعل الحرام بين، وجعل بينهما منطقة في الوسط فيها متشابهات، هذه المتشابهات أكيد أنها اختبار لعقولنا، أكيد أن السؤال فيها هل ستطيع ربنا الذي خلق نفسك وقد أخبرك بما يقوي عقلك، ولا تحتاج أحد يتفلسف عليك ولا أحد يعطيك نصائح من خبرته، ولا أي شيء. تقول لأي أحد رسولنا الكريم الذي رباه رب العالمين، صاحب العقل الرباني، أخبرنا أن نفوسنا حالها كالتالي: إذا لزمت الحلال واتقت الحرام استبرأت لدينها وعرضها، وأول ما تدخل في منطقة المتشابهات، وفي منطقة أن هذا ليس حرام، ليس أكيد حرام، ربما، إلى آخره. بمجرد ان تدخل في هذه المنطقة إذن تأكد أنها ستقع في الحرام. نفسك هذه طريقتها، فعقلك يقول لا أريد أن أصل للحرام، هذا إذا كان العقل في أصله عنده هذه الصفة التي اتفقنا عليها، أنه يقول

ماذا يريد مني ربي؟ ليس أنا ماذا اريد؟ الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

لما يسأل ماذا يريد مني؟ سيسمع يريد ربنا منا أن نلزم الحلال ونبتعد عن الحرا، ونتقي أيضا المتشابهات، ونعرف أن هذا الأمر ليس فيه تهاون لأن الذي خلق النفس هو الذي أرشدنا هذا الإرشاد. أخبرنا رسوله، الذي جاء بالرسالة من عند الله، أخبرنا أن من وقع في الشبهات وقع في الحرام، بل وضرب لهذه الحالة مثلا ليدركها العقل، ويقول لنفسه لا تقترب، وأول ما تقترب ستقع. نضرب مثال؛ تقول المرأة هل صوت المرأة عورة أن يسمعها الرجال؟ الجواب لا ليس بعورة، لكن هنا توجد أمور مشتبهات، هنا توجد مشاكل، الصوت أول بريد الإعجاب والنفس، وربما لا ينتبه الإنسان لنفسه، وهذا هو الحاصل، فيبدأ الكلام على المهم، ثم ينتقل الكلام على الأقل أهمية، على أن يبدأ المزاح، إلى أن ينتهي الأمر إلى ما لا تحمد عقباه. يقول أحد، مثلا، مسألة صوت المرأة ليست مسالة تتصل بكون الأمر حلالا وحراما، هذه مسألة داخل المتشابهات، بمعنى أن هناك أحوال كثيرة تكون خطيرة، وهناك أحوال كثيرة تؤدي إلى الخطر، وغير ما نسمع من الأخبار التي تصف النفس الإنسانية، وكيف أن الأذن تعشق قبل العين أحيانا. فنحن هنا في منطقة خطر، ابق عند الحلال، الزمه واتق الشبهات ما استطعت إلى ذلك سبيلا، وهنا نقول اتق ما استطعت، بمعنى ضعه خط احمر ولا تتساهل فيه، مثلا في موضوعنا هذا ضع حاجز هنا ولا تتساهل فيه،

وعند الحاجة سيكون الأمر أسرع ما يكون، أخصر ما يكون، بصورة يشعر فيها الإنسان بالخطر، أما التساهل من البداية وقع في الشبهات، وقع في الحرام. هذا مجرد نموذج، المقصود ان المواضيع كثيرة وواضحة، وكم من أناس بدأوا، مثلا، بقبول أن يتعاملوا مع الربا بصورة هم يرون أنهم يستطيعون أن يتخلصوا من المال الربوي، وينتهي بهم الأمر أن يطمعوا في هذا المال الربوي، وينتهي بهم الأمر أن يستحسنوه، وينتهي بهم الأمر أن يقول آخذه أنا أفضل من أن يأخذه البنك ويستفيد منه. بهذه الصورة يبدأ الموضوع بالحلال، ثم ينتقل إلى هذه المنطقة الخطيرة التي أخبرنا النبي ﷺ أن هناك مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس

هذا نموذج للعقل الرباني الذي ابتدأ موضوعه من نقطة انطلاق صحيحة، هذه هي نقطتنا الخامسة في امسيتنا الخامسة، هذه النقطة هي السؤال المهم، أنا هنا موجود لوظيفة، ماذا يريد مني ربي؟ فأتينا بنموذج، الأمثلة التي سنضربها لا يمكن أن تحصر الموضوع، هذا كأنه يقال لنا إذا درسنا أسماء الله وصفاته وأفعاله، وتعلمنا في القرآن كيف يعامل أولياءه، وكيف يعامل أعداءه، إذا فعلنا نكون حققنا قاعدة معرفية ربانية، ويصبح العقل الرباني لما يتعامل في مواقفه وأحداثه ومشاعره، يعرف من هو رب العالمين. هذه النقطة الخامسة ماذا يريد مني رب العالمين؟ لا ماذا اريد أنا؟ بل ماذا يريد مني رب العالمين؟ فالعقل الرباني صاحبه يسأل هذا السؤال، ربي أوجدني، خلقني وخلق لي. اقرأ أوائل النحل، اقرأ الروم، اقرأ فاطر، اقرأ ما شئت من كلام الله الذي

يخبرنا أنه خلقنا وخلق لنا. خلقتنا وخلقت لنا؟ سبحانك وبحمدك، أنا أريد أن أعرف ماذا تريد منا يا ربنا، فهنا يبدأ العقل الرباني يتعلم ماذا يريد منا ربنا، ومن ثم ينظر إلى آيات الكتاب وسنة النبي ﷺ على أنها مرشدة وليس انه يبحث عن مخارج لكي يفلت مما يريد منا ربنا.

المثال الأول كان حديث النبي ﷺ، الحلال بين والحرام بين. المثال الثاني: لما نقدم على شيء يخصنا وعندنا اختيارات في التعامل مع ربنا، هناك اختيارات أدنى وهناك اختيارات أعلى، هناك سيء وحسن وأحسن، صاحب العقل الرباني يقول ماذا سأختار؟ أنا أعرف ماذا سأختار، سأختار ما يوصلني لأن أكون أحسن عملا، لماذا؟ لأني عرفت ان الله {خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}. فأتربص في كل شأن وأرى ما الأحسن هنا؟ ما الأحسن في هذا الموقف؟ يصبح تفكيري فيه الإتقان، فيه الإحسان، لما أفعل شيء قربى إلى الله، أبذل جهودي، وانا صادق، في أن أحسن الأعمال، في أن أقدم كل ما أستطيع. هنا لا نبحث عن الكمال أبدا، فالكمال هذا بعيد عن الإنسان، بل طبيعة الإنسان النقص. لكن المطلوب أن هذا أحسن شيء عندي، أحسن ما أستطيع وأنا عقلي يدفعني إلى تحسين صلاتي، وتحسين ذكري، وتحسين صدقتي، وتحسين علاقتي بجيراني وأرحامي. عقلي يدفعني إلى أحسن شيء ممكن أفعله، لذا تجد هؤلاء لما يأتون مثلا، في مثل هذه الأيام المباركات، يقولون نريد أن نكون أحسن عملا، فماذا نفعل لنكون أحسن عملا، فيجدون أبواب عظيمة، إن استطاعوا الحج أحسنوا في

الحج، وإن لم يكونوا من الحجاج فتحوا على أنفسهم كل الأبواب؛ الصيام، تلاوة والقرآن ويحسنون في صيامهم، ويحينون في تلاوتهم القرآن. أحسن عملا، يعلمون العلم بنفسهم، ينشرونه أو يدفعون لمن ينشره، وهم يفكرون أن تعليم العلم من أحسن الأعمال. يضحون، يأتون بأحسن أضحية هم متمكنين منها ويتعاملون معها بأحسن طريقة يمكن أن يتعاملوا معها. يذكرون الله مكبرين، مهللين، معظمين بأحسن طريقة يمكن أن يذكروا بها الله. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

يبرون والديهم بأحسن طريقة متمكنين منها، يتصدقون ويحنون بأحسن طريقة متمكنين منها، يصلون الأرحام بأحسن طريقة، يطعمون الجائع بأحسن طريقة. الحياة عندهم ليست قضية إلقاء شيء عن عواتقهم، وينتهون من الأعمال، وإنما عقلهم يقول اختبارنا هنا، خلقنا وخلقت كل هذه الأشياء لنا لأجل أن نحسن عملا. لو نظر الإنسان في نفسه، وهذه آية من آيات الله يتكلم الناس عنها بطريقة عجيبة، يتكلمون عنها في تمارين الرياضة وفي تمارين الاستطالة، وفي هذا الكلام، وما عرفوا أن رب العالمين جعل للإنسان كل هذه المفاصل، وكل هذه الفقرات المتحركة في ظهره، في ركبته، في قدمه، في يده، في رقبته، وفي كل موطن من مواطنه. جعله الله بهذه الطريقة لأجل أن حسن في وقوفه بين يدي الله، وفي ركوعه بين يدي الله، وفي سجوده بين يدي الله. أمر يجعل الإنسان يتصور أن كل العطايا التي وُهبت للخلق لأجل أن

يحسنوا عملا. فلما لا تندهش من جمال الشروق والغروب أو من جمال النجوم، ما تندهش من جمال ألوان الزهور والورود، ولا تندهش من جمال ما وهب الله، عز وجل، لهذه الأرض لما يكسو الجبال بالخضرة، أو لما ترى ألوانا للرمال متعددة أو ترى ألوان عروق المعادن في الحبال، هذا كله لا يعجبك ولا يدهشك فلا تسبح ولا أي شيء، لكن لما يخرجون منتجا في جوال مثل رجل آلي، فتجد ذاك الإنسان الذي ليس صاحب عقل رباني منبهرا، يحدثك عنه. حدثني عن الله الذي أحسن كل شيء خلقه، خلق وهدى، سبحانه وتعالى. حدثني عن الله، وأحسن وأنت تتعامل مع ما خلق الله لأجلك. هذه السماء ذات الأبراج، والأرض ذات الفجاج، والبحار ذات الأمواج ما خلقها الله إلا لأجل أن تحسن أنت عملا فتسبح وتهلل وتكبر، وهذا يردنا على أول الكلام وهو أنهم ذاكرين، متفكرين. العقل الرباني في نهاية الموضوع، وهذه هي الصفة الخامسة، دائما يسأل ما هو المطلوب مني. نكتفي بالمثالين التي ضربناها وهي حديث الحلال بين والحرام بين، وآية سورة الملك، وهو أن الله ابتلانا بهذه الأمور التي خلقها، سبحانه وتعالى، فقال {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} عقلي يقول ان ربنا ابتلانا بأن نكون أحسن عملا، فنحن سنبذل جهودنا أن نكون أحسن عملا.

ننهي مناقشتنا في هذه الأمسيات المباركة بالكلام عن بعض الأمور، لا نستطيع أن نقول كل الأمور، التي يمكن أن تفسد العقل وتجعله ليس ربانيا، وهذا الموضوع في الحقيقة يحتاج إلى اهتمام، لأنه موضوع

متفرع، لكن نتكلم فيما نستطيع، إن شاء الله. نبدأ ونقول أن من أكثر ما يفسد العقل ويبعده عن أن يكون ربانيا هي معلومات الطفولة. ولنتخيل المسألة باختصار؛ لو أني أعطيت طفلي لقمة فاسدة، من المؤكد أنها ستضر بجهازه الهضمي، في مقابل لو أعطيته لقمة مفيدة تفيد جهازه الهضمي، ويمكن أن أصل أن أعطيه لقمة فاسدة مسممة تقتله، والعكس بالعكس. بنفس هذه الطريقة سنأتي إلى المعلومات التي تلقيناها في الصغر، أو نحن نعطيها لأطفالنا، سنفكر في نفسنا من أي طريقة كانت؛ من الوالدين، من التعليم، من الأصحاب، من العائلة، من المجتمع، من أي طريقة كانت. مما يفسد العقل ولا يجعله مستعد لأن يكون ربانيا أن يتلقى معلومات خاطئة، كاذبة في الصغر تسبب له الأمراض. والإنسان في صغره خُلِق ومعه فطرة سوية مستعدة للتعاليم الإلهية والعمل الشروع، فالأبوان، أو المجتمع يلقن هذه الفطرة، فإذا أعطاها معلومات صحيحة فالنتيجة أن هذا يكون مستعد أن يستفيد من هذه المعلومات ويكون عقلا ربانيا. لو أُعطيَت معلومات باطلة نحكم أنه سيتقدم في العمر فيحتاج إلى جهد كبير لدفع المعلومات الباطلة واستبدالها بالمعلومات الصحيحة، والأمثلة حولنا كثيرة. لو نظرنا لمن يغلو في علي، رضي الله عنه، وآل البيت، كيف هذا العقل يستطيع أن يستوعب أن الدين عبارة عن سبّ ولطم، وعبارة عن أفعال كلها فيها من التعدي، وكيف أن هذا الدين بدلا من أن يكون محميا، محفوظا بحفظ الله، يحصل لحامله كذا، وإلى آخر خرافات القوم الذين ركبوا

على هذه الموجة وأخذوا فيها. أنت تستعجب من الكم الهائل من الناس الذين قبلوا بهذه الطريقة والسيرة، ما هو السبب؟ فتحوا أعينهم على هذه المعلومات، وصلت هذه المعلومات إلى فطرتهم، أغلقت مكان التفكير والتدبر، أغلقت مكان الحقائق.

هذا يكاد يكون من أخطر الأشياء التي يمكن أن تمر على الإنسان؛ معلومات الطفولة، المعلومات التي تلقيناها في صغرنا، هذه المعلومات يمكن أن تصل إلى حد أن تكون حاجزا بيننا وبين الحق، وهذا ما حصل مع العرب الفصحاء الذين يستطيعون أن يميزوا بين كلام الشعراء وكلام الناس وكلام الله. لكن بسبب ما تلقوه في صغرهم وبنوا عليه حياتهم قالوا {وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ}. ومن هنا نقول معلومة الطفولة، لأنهم حتى لو كانوا كبار، حتى لو كانوا شيوخ، الكبير يقول أمي قالت كذا، والديّ قالا كذا، أبي قال لي هذا الكلام، هذه هي نفسها {وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ}، بحيث أنك لو قلت له لا يصح ان تتمسح بهذا الذي لا ينفعك ولا يضرك، اسال الله الحي الذي لا يموت، والدليل عقلي واضح، هذا ميت وربنا حي لا يموت، ألست تقرأ آية الكرسي، {الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ}، تترك الله الحي القيوم الذي خلقك وتطلب هذا الذي في القبر؟ أقنعوهم أن هؤلاء وسائط، أقنعوهم أن الله يحتاج إلى وسائط، كيف أقنعوهم؟ لا توجد مناقشة، وهو صغير قالوا له هذا الكلام لم ينضج عقل الرشد، إلا من رحم ربي، هناك من ينتقد ويرفض، وهناك من يرزق صحبة تمنعه، {لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى

الْهُدَى} على فهم في هذه الآية. لما نقول معلومة الطفولة لا تعتقد أننا نقصد وهو في الطفولة، لما يتقدم في العمر معلومة الطفولة تكوِّن له حاجز. مثلا مسألة متصلة بالحجاب، فتحت عينها وهي صغيرة وأهلها يقولون لها هؤلاء الذين يلبسون الحجاب وموقفهم كذا من غطاء الوجه، هؤلاء متشددين لأن بلدهم بهذه الصورة، وربنا ما أمر بذلك. تفتح عينها وتكبر وهي ترى أنكم تقومون بالأمور الزائدة، ما أمر الله بذلك، بدون أن تبحث او تدرس أو تتعلم، وحتى لو بحثت ودرست وتعلمت، ففي الداخل حاجز لا يجعلها تستسلم إلا إذا سالت السؤال السابق في النقطة الخامسة، إلا إذا سارت على ذاك السير الذي يقول ماذا يريد مني ربي؟ هذه نقطة مهمة، نؤكد أننا لا نقصد معلومة الطفولة يعني ونحن نتكلم عن الأطفال، بل نقصد المعلومات التي تلقيناها في الطفولة ثم شكلت عقلنا، ولما شكلت عقلنا أصبحت حاجز.

نأتي إلى أمر آخر يضر بالعقل، والعجيب أنه موجود في سورة الجن، وإذا أردت أن تعرف ماذا يدور في العقل الإجابة في سورة الجن. سنشير إلى ما يتيسر، تصور أن من أخطر ما يذهب بالعقل الرباني ويكون سببا لمنع تشكيله على الطريقة الربانية، هي المعلومة الكاذبة. لذا في سورة الجن، الجن أخبرت عن سبب من أسباب ضلالها، كأن السؤال يقول أنتم أيها النفر من الجن ما أن سمعتم القرآن حتى اهتديتم إلى الصواب، وعرفتم أنه {تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا}، عرفتم أن الذي يقوله القوم من أقوال باطلة إنما هي من السفاهة، سبحان

الله، لما سمعتم القرآن وصلتم إلى هذه النتائج؟ ما الذي جعل عقلكم لا يفكر من البداية؟ أنهم تلقوا معلومة كاذبة وظنوا ألا تقول الإنس والجن على الله كذبا، {ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}، هذا ظنهم. نتيجة هذا، أعطوهم معلومة كاذبة وهم يظنون أن هؤلاء لا يكذبون، فضل العقل. نفترض أن في هذه الغرفة التي نحن فيها توجد فلانه، فأتي أحد عند الباب وسال هل فلانة موجودة؟ وقلنا لا، ليست موجودة. لو بحث الأرض كلها لن يجد فلانة، هذه المعلومة الكاذبة أضلته، وجعلت جهده مبعثر، ضائع، لا نتيجة له، والسبب أننا أعطيناها معلومة كاذبة. فالعقول تضلّ لما تبني شأنها على معلومات كاذبة. لذا لما نقول علينا أن نكون صادقين، غاية في الصدق، في قليل الأمور وعظيمها. مثل هذه الأمور قد تمر على الإنسان ويستهين بها ولا يدري ما أثرها. الحقيقة لولا أن الله أوقفنا عليها في سورة الجن ما كنا شعرنا بخطورتها. من أكثر ما يبعد الإنسان ويضل العقل المعلومة الكاذبة، وهذا اليوم نراه منثورا حولنا، يا للأسف، من بعيد وقريب، من الذي يقول هذه اكتشافات علمية، ومن الذي يقول هذه طاقة إيجابية، يستشهد بآيات القرآن على الباطل، ونحن نظن أنهم لن يقولوا على الله كذبا، إلى أبسط الأمور التي نشكل بها عقولنا وعقول من معنا عن طريق أن نقول لهم معلومة كاذبة.

النقطة الأولى يبعد الإنسان أن يكون عقله ربانيا بسبب معلومات الطفولة المضللة، ولما يكبر يبعد الإنسان أن يكون عقله ربانيا بسبب

المعلومات الكاذبة التي تصب على رأسه، هؤلاء يقولون له ليس من الضروري أن تتعلم الدين لتكون من أهله، وهؤلاء يقولون للمرأة ليس من الضروري أن تتحجبي من أجل أن تكوني متدينة، وهؤلاء يقولون للشاب هناك أناس تمسكوا بالدين لكن على الطريقة القديمة فكن تنويريا، وهذ يقول معلومة كاذبة، وهذا يقول معلومة كاذبة، إلى أن يذهب عقل الناس، إنا لله وإنا إليه راجعون. كنا نريد في هذه الأمسيات أن ندخل على نفوسنا الأنس بذكره وشكره، سبحانه وتعالى، على ما أنعم علينا، وإن شاء الله يكون هذا حصل، لكن الذي نراه في الواقع من أمور كثيرة تضعف العقول وتجعلها حرب على نفسها، أمور مؤسفة، نرجو من الله أن يحفظنا ويحفظ ذرياتنا وذريات المسلمين، وأن يهدينا جميعا إلى الصراط المستقيم. اللهم يسر حج الحجاج، وأرسل عليهم نسائم رحماتك، واجعل حجهم أيسر ما يكون من حج. أعنهم ووفقهم واجعلهم من أهل التوحيد. اللهم ارفع أهل التوحيد وانصرهم واجعلهم هداة مهتدين، اجعلهم ممن يدعو إلى الحق كما تحب ربنا وترضى، بهذا اللقاء نكون أنهينا نصيبنا من هذا الموسم المبارك. ندعو جميعا للحج وأهله، نرجو أن يكون موسما مباركا محفوظا بحفظه، سبحانه وتعالى، والحمد لله رب العالمين.